

قسم الدراسات اللغوية والأدبية

رخصة إيداع النسخة النهائية لمذكرة الماستر

أنا الممضي (ة) أسفله الأستاذ (ة): بن يوسف محمد الكاشي

الرتبة العلمية: أستاذ محاضر

بصفتي مشرفا (ة) على مذكرة الماستر الخاصة بالطالب (ة):

الاسم واللقب: بشار جفينا

التخصص: آداب حديث ومعاصر

السنة الجامعية: 2026/2025

والموسومة: " آداب الوجداء الإحراج في نيات العربي المشرقي (ت 1895م)
" كتابا الكساح المشرقي مشاه "

أشهد أن الطالب (ة) قد أتم (ت) إنجاز المذكرة وفق التوجيهات العلمية والمنهجية المطلوبة، وبعد مناقشتها والأخذ بعين الاعتبار ملاحظات لجنة المناقشة وتصحيحها، أرخص له (ا) بإيداع النسخة النهائية للمذكرة لدى مكتبة الكلية.

مستغانم في: 19/07/2026

مصادقة رئيس القسم

امضاء الأستاذ المشرف

د. بن يوسف محمد الكاشي





الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

جامعة عبد الحميد بن باديس/مستغانم.

كلية الأدب العربي والفنون.

قسم الدراسات اللغوية والأدبية.



أدب الهجاء والاحتجاج في كتابات العربي المشرفي (ت 1895م).
كتاب الحسام المشرفي مثلاً.

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الدراسات الأدبية، تخصص أدب حديث ومعاصر.

إشراف الأستاذ:

- د. بن يوسف محمد الأمين.



إعداد الطالبة:

- بحار صفياناز

السنة الجامعية: 1448/1447 هـ --- 2025 - 2026 م.



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

جامعة عبد الحميد بن باديس/مستغانم.

كلية الأدب العربي والفنون.

قسم الدراسات اللغوية والأدبية.



أدب الهجاء والاحتجاج في كتابات العربي المشرفي (ت 1895م).

كتاب الحسام المشرفي مثلاً.

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الدراسات الأدبية، تخصص أدب حديث ومعاصر.

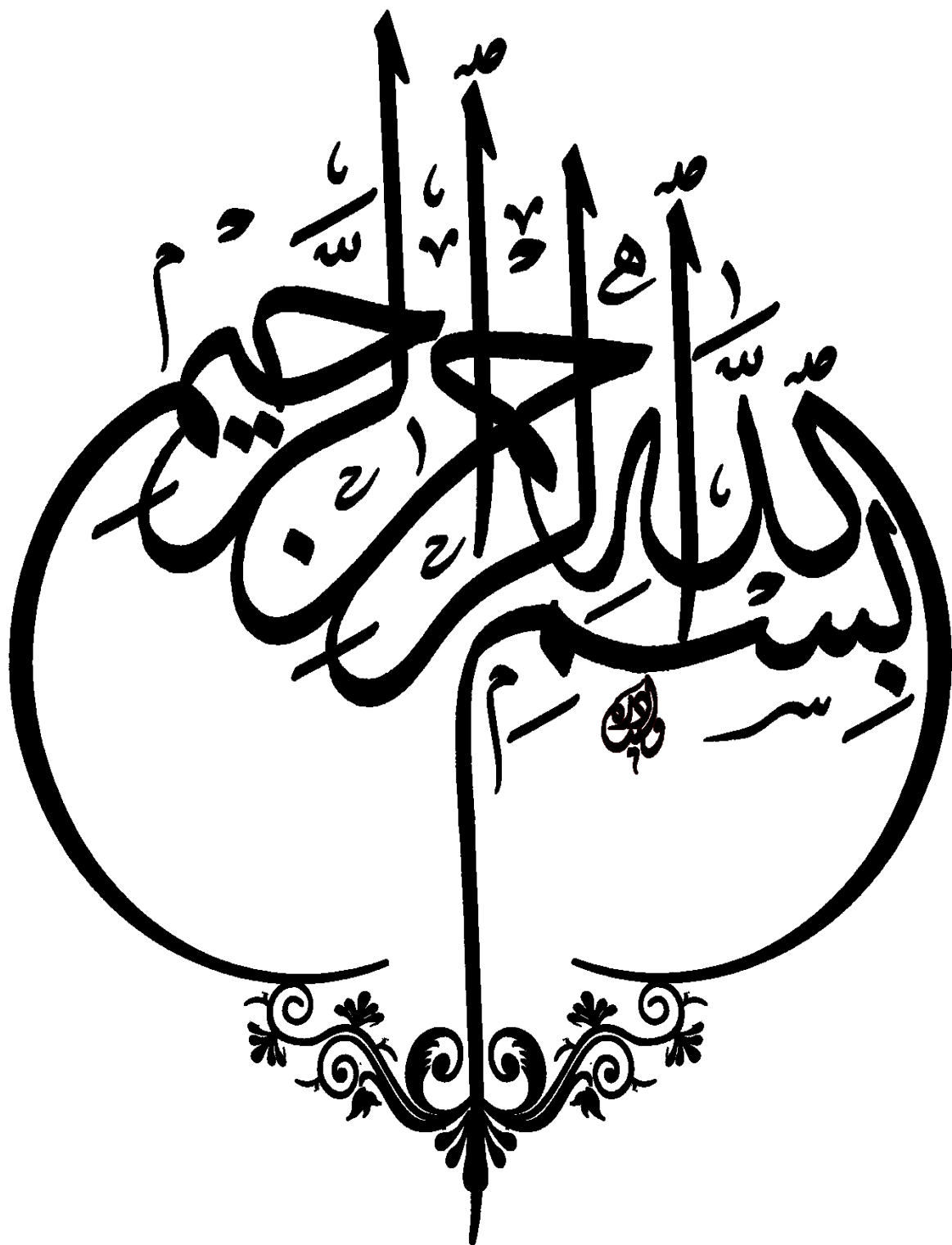
إشراف الأستاذ:

إعداد الطالبة:

- د. بن يوسف محمد الأمين.

- بحار صفيناز

السنة الجامعية: 1448/1447 هـ --- 2025 - 2026 م.





شكر وتقدير

أحمد الله تعالى وأشكره على فضله علي وتوفيقه لي في هذا العمل.

قال الله تعالى ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الْكَافِرَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالْكَافِرَ أُوثُوا الْعِلْمَ حَرَجًا﴾.

كما أتقدم بكامل الشكر والتقدير للأستاذ المشرف "د. بن يوسف محمد الأمين"
الذي تكبد عناء التصحيح وتوجيهي للمادة العلمية وتزويدي ببعضها حتى
يكتمل هذا العمل، فجزاه الله كل خير ووفقه في كل ما خصاه.

وأجدد شكري إلى كل أساتذة قسم الدراسات اللغوية والأدبية بكلية الآداب
العربي والفنون بجامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانم.



عَمْرٍو حِينَ بَمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ .

وَتَحَقَّقَ الْجَلْمِ إهداء

الحمد لله حبا وشكرا وامتنانا على البقاء والبقاء.

أهدي بكل حب فخرجني إلى الراحلة من حياتي.. الحاضرة في قلبي..

إلى من كانت تتمنى رؤيتي في هذا اليوم بفارغ الصبر..

أمر الغالية رحمة الله وجعلها في أعلى منازل الجنة.. رحيلها كسرتني في

أيام حياتي كنت الأم الداعمة والصديقة المستمعة التي لا تعوز..

ها أنا الآن أجد أن ما كان حلما أصبح واقعا بفضل الله وبفضل عائلتي..

كما أهدي هذا العمل إلى كل عائلتي: أبي وإخوتي وخالتي يمينية..

سائلة الله أن ينفعني بما علمني وأن يزيدي علما وللعلم بقية...

وَأَنَا أَكْتُبُ
إِلَى أَبِي
وَكُلِّ عَائِلَتِي

الخريجة الأستاذة

بحار صفيناز



مقدمة



مقدمة.

يزخر أدبنا العربي بالعديد من الأعمال الأدبية الشعرية منها والنثرية، التي تطورت على مر العصور الأدبية، وعكست مختلف ظروف الأزمنة التاريخية. ويشكل أدب الهجاء والاحتجاج -لا ريب- أحد أهم هذه الأنواع، فالهجاء كثيرا ما كان يرتبط ظهوره باعتباره غرضا شعريا قديما مقرونا بفترة العصر الجاهلي، والتي وسمتها سطوة العصبية والحياة القبلية، وما رافقها من افتخار شديد بالنفس، وتعلية كبيرة لشأن الذات، وانتقاص من الأنداد، وتسفيه للمنافسين والخصوم، وهذا مع ما فرضته حياة الحروب والغزوات، والنزاعات من لوازم، على غرار الطعن في الأعداء والاستهزاء بهم، والخط من شأنهم والسخرية منهم.

أمّا الاحتجاج، وإن حَمَلَ بعض أوصاف الهجاء، فقد كان من جهة أخرى أسلوبا خطابيا فكريا يقوم على الرفض لواقع معيّن معاش، والدعوة إلى تغييره استبداله، فهو موجّه ضدّ الظلم والاستبداد ورتابة الحياة القائمة، وضدّ تدهورها في أحيان كثيرة.

وكل من الهجاء والاحتجاج، يعتبر من قِبَل الكثيرين أداة من أدوات النقد اللاذع، فالأول يكشف العيوب والنقائص أو يُلبسها للآخر، أما الثاني فيبرز ويبين بوضوح حقيقة أوضاع مجتمع أو أداء سلطة أو منظومة اجتماعية ما.

ولئن عَرَفَ الهجاء والاحتجاج بشكل أو بآخر تناوله بالدراسة في مسار تطور الأدب العربي، فالباحث يجد أنه يتركز فقط على فترة الجاهلية والفترة الإسلامية الأولى، خاصة فيما يتعلق منه بشعر النقائص، ولكن التطرق إليه وإلى حضوره في العصور الحديثة يعرف نقصا ملحوظا، إن لم نقل غيابا، وهذا لا يعني انعدام النصوص المتعلقة به بالمرّة، بل

توزعها بين الدواوين والإنتاجات الأدبية وعدم الانتباه لها هو ما قد حال دونها؛ لذلك فقد حاولنا دراسة هذا الفن في فترة تاريخية مميزة من العصر الحديث، وهي فترة عرفت النكبات الاستعمارية ألا وهي القرن التاسع عشر، ولدى شخصية علمية جزائرية كثيرا ما أثارت الجدل بكتابتها، ألا وهي شخصية العربي المشرفي الجزائري المعسكري مولدا، الجزائري نشأة، المغربي هجرة وغربة، وبالخصوص كتابه "الحسام المشرفي" الذي أثار هو الآخر جدلا واسعا، كونه يدخل ضمن أدب السجال الذي رد فيه على أحد علماء المغرب وطريقته الصوفية.

إن الإشكالية التي تطرح نفسها في هذا الموضوع، تكمن في كيفية تجلي هذا الفن - الهجاء والاحتجاج - في كتابات العربي المشرفي عموما، وخاصة في كتابه الموسوم "الحسام المشرفي لقطع لسان السَّاب الجُعرفي، الناطق بخرافات الجُعسوس، سيئ الظن الكنسوس"؟ ومنه تتفرّع عدّة تساؤلات أخرى مرتبطة بها:

- ما هو أدب الهجاء والاحتجاج؟ وماهي الفروق الموجودة بينهما؟ وما خصائصهما؟ وكيف تطور مسارهما في تاريخ الأدب العربي؟
- من هو العربي المشرقي؟ كيف كانت بيئته وعصره؟ وكيف استخدم هذين الأسلوبين في كتاباته؟ وما هو الطابع الذي طبعها؟
- ماهي دواعي تأليف كتاب الحسام المشرفي موضع البحث؟ وما هي قيمته الأدبية والتاريخية؟ وكيف وظّف العربي المشرفي الهجاء والاحتجاج فيه ولأي غاية؟

إن اختيارنا لدراسة هذا الموضوع، يعود بالأساس إلى توجيه الأستاذ المشرف د. بن يوسف محمد الأمين، الذي وجهنا لهذا الكتاب بغرض دراسته أدبيا، كونه قد دُرس تاريخيا، بالإضافة إلى ذلك، فإن جاذبية العنوان، ورغبتنا في الاطلاع على مختلف كتابات العربي المشرفي، باعتباره نموذجا لتوظيف الهجاء والاحتجاج في التراث الجزائري الحديث، وباعتباره أحد أهمّ أعلام القرن 19م، وكذا في طريقة توظيفه لأدبي الهجاء والاحتجاج، كان دافعا آخر، كما أن غاية التّعرف على هذين اللونين وبيان تأثيرهما بالحياة العامة السياسية والاجتماعية والثقافية خاصة في فترة النكبات وفترة التراجع والانحطاط كان سببا آخر.

والأكثر من ذلك هو تلك الجودة التي يمنحها الموضوع، فتناول الهجاء والاحتجاج عند عالم جزائري في العصر الحديث، وفي ظروف خاصة وكتاب خاص، يشكل في حد ذاته تحديا، حيث لم يدرس هذا الكتاب من من قبل أدبيا، بينما دُرس تاريخيا فقط على يد محققه ومخرجه من الخزائن ومن بين غبار رفوف التّاريخ أ.د. عبد الحق شرف، والذي كان موضوع رسالته للدكتوراه.

ونظرا لطبيعة البحث وطبيعة نموذج الدراسة، فقد اتبعنا في الإجابة عن إشكالية هذا البحث بالأساس على المنهج التاريخي، لأنّه يتناسب مع طبيعة جزء كبير من موضوع بحثنا. ولكن هذا لا يعني أننا لم نستخدم مناهج أخرى مساعدة على غرار منهج تحليل المحتوى بصيغته المتكيفة مع الدراسة الأدبية، لأننا أمام تحليل كتاب وتفكيك لمضمونه.

أمّا الخطّة التي اتّبعناها لمقاربة هذا العمل والإجابة عن تساؤلاته، فقد تمثّلت في تخصيص الفصل الأول أدب الهجاء والاحتجاج: مفهوما، ونشأة وتطورا وأسلوبا، أمّا الفصل

الثاني فتناولنا فيه حياة العربي المشرفي وبيئته السياسية والاجتماعية، أما بالنسبة للفصل الثالث فقد خصصناه لدراسة توظيف الهجاء والاحتجاج في كتاب الحسام المشرفي عبر استظهار صور وأساليب وأغراض الهجاء والاحتجاج الواردة فيه.

من أجل ذلك، وتكيفا مع طبيعة موضوع البحث، فقد اعتمدنا على نوعين من المصادر والمراجع، بدء بالتاريخية منها، والمتمثلة بالأساس في بعض الكتب التي ألفها العربي المشرفي نفسه، أو تلك التي تناولته موضوعا، خاصة مختلف الكتب والمقالات التي درست حياته أو مخطوطاته، مثل أطروحة الدكتوراه لعبد الحق شرف، والذي اعتمدناه كأصل في ظل عدم توفر المخطوط أو الكتاب مطبوعا، وكتاب تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله وغيرها.

أما الأدبية: فهي تلك التي تناولت فن الهجاء والاحتجاج عبر تطور العصور والأزمان، مثل كتاب "الهجاء والهجاؤون في الجاهلية" لمحمد الحسين، و"الهجاء في الأدب الأندلسي" لفوزي عيسى، و"فن الهجاء وتطوره عند العرب" لإيليا حاوي، وغيرها من الدراسات والمقالات التي تناولت ذلك.

أما فيما يخص الصعوبات التي واجهتنا أثناء إنجاز هذا البحث، فقد تمثلت في عدم قدرتنا على الحصول على بعض المصادر المتعلقة بالعربي المشرفي، والتي هي مطبوعة في المغرب، ولكنها غير متوفرة بالصيغة الرقمية، وكذا قلة المراجع التي تحدثت عنه في الجزائر، أما بخصوص أدب الهجاء والاحتجاج فما أُلّف في الهجاء كان أكثر من

الاحتجاج، باعتباره الأخير هو أحدث منه، وقد ارتبط في الغالب بظهور الحركات الاجتماعية والسياسية.

وفي الأخير، ولأن العمل البشري مشوب بالنقص حتما وقضاء، فإننا نقر بذلك ابتداء، في الوقت الذي نسأل الله عز وجل أن يكون ما وفقنا فيه منه خالصا لوجهه الكريم.



الفصل الأول:

أدب الهجاء والاحتجاج: النشأة والتطور.



يعدّ الهجاء والاحتجاج من الأساليب الأدبية التي يعبر فيها الكاتب عن قضايا عصره والواقع المعاش. فالهجاء أداة نقدية تعري السلوكات المعرفية للمجتمع، أمّا الاحتجاج فيمثّل الرّفص والمعارضة ضدّ الظلم والتّهميش الفردي والجماعي، والمطالبة بالتّغيير نحو الأفضل، وقد عرف الأدب العربي ظهور هذا النوع من الجاهلية وتطوّر عبر مختلف العصور الأدبية، كما سنراه.

المبحث الأول: ماهية الهجاء.

1. ماهية الهجاء.

أ. الهجاء في اللغة.

الهجاء في المعاجم العربية له عدة معانٍ، يأتي في مقدمتها ما كان من الفعل هجا، يهجو، هجوا، والاسم الهجاء، وهجا فلانا إذا سبه وشتمه بالشعر، فهجاء الناس: كَلَامٌ فِيهِ سَبٌّ وَتَعْدِيدٌ لِلْمَعَايِبِ، وَيَكُونُ فِي الشَّعْرِ غَالِبًا، وَهُوَ فَنٌّ مِنْ فُنُونِ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ. ومنه صفة الهَجَاءُ: وهي صيغة مبالغة من هجا: تطلق على من يُكثِر من ذَمِّ غيره وتعدد معايبه¹.

كما يرد معنى الهجاء السابق من الفعل هاجى أيضا، ومنه يهاجي، وهاج، مُهاجاةً، وَهَجَاءً، فهو مُهاجٍ، والمفعول مُهاجى، وَهَاجَى صَاحِبَهُ : أَي هَجَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْآخَرَ، وَهَاجَى خَصْمَهُ : هَجَاهُ، وَذَمَّهُ².

وفي هذا الإطار يدخل معنى كل من: الأهجية، أو الأهجوة، والأهاجي، والتهاجي، والهجو، والاهتجاء وغيره كثير³.

أما المعاني الأخرى له، فهي ما يتعلق بتقطيع اللفظة إلى حروفها، والنطق بهذه

الحروف مع حركاتها، فحروف الهجاء: ما تتركب منها الألفاظ من الألف إلى الياء، وترتيبها مُسْتَمَدٌّ من ترتيب الأبجدية بوضع الحروف المتشابهة في الرسم بعضها بجوار بعض.

كما يأتي منها على معنى المشاكلة، فحين يقال: هذا على هجاء كذا: أي على شكله،

وفلانٌ على هجاء فلان: على مقداره في الطول والشكل⁴.

¹. ينظر الموقع الإلكتروني لمعجم المعاني، مادة هجاء، في:

– <https://www.almaany.com>. Consulté le 10-04-2026, à 14 :54.

². المرجع نفسه.

³. المرجع نفسه.

⁴. المرجع نفسه.

وهناك ما يأتي على معنى آخر هو السكون كما أورده ابن منظور: هجأ جوعه هجاً وهجوعاً: سكن وذهب¹، كما تأتي بمعنى الفرح².

ومما هو قريب من المادة: الهياج بمعنى الغضب والقتال والحرب³.

ب. الهجاء في الاصطلاح.

يعرف الهجاء في الاصطلاح في القواميس على أنه أحد أغراض الشعر العربي منذ العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث، وهو عمل أدبي يهاجم الرذيلة أو الحمق البشري من خلال السخرية، وقد يلجأ الهجاء إلى سلب المهجوع ما يعتز به من الفضائل، أو رميه بما ينفر من الرذائل، وأحياناً يكون الهجاء سياسياً بغرض سلب الحاكم أو الأمير هيئته⁴.

وبالتالي فهو نزع الصفات الحميدة لشخص ووصفه بأضدادها.

ولا بأس هنا من إيراد بعض التعريفات التي ساقها الدارسون والباحثون، فقد عرفه سراج الدين محمد على أنه "فن من فنون الشعر الغنائي يعبر فيه الشاعر عن عاطفة الغضب أو الاحتقار أو الاستهزاء ويمكن أن نسميه فن الشتم والسباب فهو نقيض المدح..."⁵.

ويعرفه الدكتور محمد حسين أنه من أكثر فنون الشعر ارتباطاً بالواقع والحياة، ومن أقدرها على أن يضيف إلى التاريخ ويكمل بعض ما فيه من فجوات من خلال نقده لأفراد المجتمع وتصويره لجوانب الضعف¹.

¹. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، د ط، المجلد 1، ص 171.

². الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ص 56.

³. فوزي عيسى، الهجاء في الأدب الأنطلسي، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط 2007، ص 11.

⁴. ينراجع الموقع الإلكتروني لمعجم المعاني، مادة هجاء، في:

- <https://www.almaany.com>. Consulté le 10-04-2026, à 14:54.

⁵. سراج الدين محمد، الهجاء في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، ص 08.

ويقول قدامة بن جعفر، والذي قسم كتابه "نقد الشعر" إلى ستة أقسام، بأنه ضد المديح وكلما كثرت أضداد المديح في الشعر كان أهجى له، وجعل من الهجاء الذم والعتب والاستبطاء والتأنيب².

وأشار أبو هلال العسكري في كتابه ديوان المعاني حين قال "...وإنما كانت أقسام الشعر في الجاهلية خمسة: المديح، والهجاء والوصف والتشبيب والمراثي حتى زاد النابغة فيها قسما سادسا وهو الاعتذار فأحسن فيه...".

كما عرّفه الزمخشري مأخوذ من الهجاء الحروف فهو تعداد للعيوب³، وعند محمد سامي الدهان هو الذم والجبن والبخل والأنساب والأعراض والأحساب⁴، أما بالنسبة لطف حسين، فقد ربطه بالشعوبية التي كانت تطعن وتذمّ العرب وترفع من شأن الفرس عليهم في كل شيء⁵.

ويعرّفه بعض النقاد العرب أمثال الجاحظ، حيث يسمى بعض رسائله النثرية هجاء فيقول في مقدّمة الحيوان "وكتبني بكتاب الأوفاق والرياضيات... ومن الهجاء لا يزال مسميه باقيا والمديح لا يزال ناميا"⁶.

¹ - محمد حسين، الهجاء والهجّاءون، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط3، ص 01.

² - قدامة بن جعفر، كتاب نقد الشعر، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، 1884، ص 29 وما يليها.

³ - المرجع نفسه، ص 18.

⁴ - محمد سامي الدهان، فنون الأدب العربي: الفن الغنائي "الهجاء"، دار المعارف، ط3، القاهرة، ص 12.

⁵ - طه حسين، في الأدب الجاهلي، مؤسسة هنداوي، ط3، 1937، ص 143.

⁶ - محمد حسين، الهجاء والهجّاءون، ص 17.

أما بالنسبة لدائرة المعارف الإسلامية فقد ورد في مادة الهجاء "الهجاء في أصله سحر أو لعنة واشتقاق كلمة غير معروف بالضبط ولكنها قد تعني في أصلها شيئاً من الرقية وأصول الهجاء مرتبطة بفكرة قديمة¹.

فتنقصد من كلامها أنّ الهجاء كالتعويدة يلقيها الشاعر على الناس، فكانت كلماته لها القداسة فهو صوتهم.

كما أنّ الهجاء يمثل روح النقد والمعارضة عند الشعراء لكشف سلبيات المجتمع².
وأيضاً ورد معنى الهجاء في بعض النصوص القرآنية منها قول الله تعالى في هجو المشركين: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾³.

وقوله عز وجل: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۚ﴾⁴ فالآية هجاء مباشر لأبي لهب.

تكمل مهمة الهجاء في ظل الواقع الاجتماعي مهمة إصلاح وتقويم ووسيلة العلاج ورمزا من رموز التّقرّيع والتّأنيب⁵.

كما ورد الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت " اهْجُهُمْ، وَرُوحُ الْقُدُسِ مَعَكَ"، في هذا الهجاء مقصد واحد وهو الدفاع والتّصدي للباطل وليس السبّ والشتّم¹.

¹ - محمد حسين، الهجاء والهجّاءون، ص 52.

² - ينظر: فوزي عيسى، الهجاء في الأدب الأندلسي، ص 01.

³ - سورة الشعراء، الآية: 224

⁴ - سورة المسد، الآية: 01 - 02.

⁵ - نوري حمودي علي القيسي، تقويم جديد لظاهرة الهجاء في الشعر العربي قبل الإسلام، مجلة الآداب، العدد 30، جامعة بغداد، 1981، ص 10.

يقول الإمام الشافعي في شعره:

نَعِيبُ زَمَانَنَا وَالْعَيْبُ فِينَا * * * * *

وَنَهْجُو ذَا الزَّمَانِ بِغَيْرِ ذَنْبٍ * * * * *

فهنا يقصد الهجاء الذاتي قبل الزمان.

فمن خلال استعراضنا التعريفات السابقة، نجد أن الهجاء هو أداة شعرية للتعبير عن الخوارج الداخلية الصادقة دون الكذب، أو الخيال فيه، ويتغير حسب الموقف، مرة يكون السب والاستهزاء، ومرة يكون النقد بناءً هدفه التوعية.

2- نشأته وظهوره في البيئة العربية.

نشأ هذا الغرض الأصيل من رحم الحروب واشتداد العصبية القبلية التي كانت تعرف به البيئة الجاهلية التي تقوم على التفاخر والدفاع عن الشرف والنسب.

فكان الهجاء وسيلة للحط والطعن من الأعداء فاستخدمه الشاعر للتعبير عن عاطفة الغضب والاستحقار³، وتطور مع تطور الزمن، وتغيرت معانيه وأساليبه التي كانت تقوم على السب المباشر، وانتقل إلى التلميح والسخرية. ثم اتخذ من الفن النثري مكانا فيه يستخدم

¹ - رواه البراء بن عازب، مصدر صحيح، الجامع رقم 2522، أخرجه أحمد والنسائي في الكبرى، (8237) والبخاري أيضا: <https://dorar.net>

² - أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ديوان الإمام الشافعي (الشعر والحكم)، دار صادر، بيروت، د ت، ص 144.

³ - محمد محمد حسين، الهجاء والهاجؤون في العصر الجاهلي، ص 19.

التصوير والذكاء في التعبير بدلا من الكلمات القاسية كالقصّة وغيرها، وارتقى إلى معالجة مشكلات المجتمع، فهكذا أصبح الهجاء فنا أدبيا يعكس الواقع بأسلوب مؤثر¹.

المبحث الثاني: أنواع الهجاء.

من خلال دراستنا لمختلف التصنيفات المعطاة من قبل الدارسين للهجاء، يمكن أن نلخص النواع التالية له:

1. الهجاء الفردي أو الشّخصي: يقوم على سبّ وذمّ شخص واحد، الذي ارتكب ما يُغضب الشاعر، فهو بدوره يركّز على المثالب والردائل التي يمتاز بها، ويدور حول محورين²:

أ. ذكر العيوب الخلقية: فكان هدف الهجاء هو الانتقاص والخطّ من قدر المهجو، وذلك ليَجعله أضحوكة للسامع، فصوّره في أبشع الصور الخلقية، وطعن في النسب والشرف، خاصة جعل المرأة موضوعاً أساسياً لأشعارهم. فإذا تكلم الشاعر عن المرأة تحسّ المهجوة، سواء أمه أو زوجته، ثار غضباً³.

يقول الشاعر في وصف امرأة:

"بدا فبدت لي شُقة من جهنّم *** ففقتُ وما لي بالجحيم يداني

وغادرتُ أصحابَ الذين تخلفوا *** بما شئتُ من حزنٍ وطول هوانٍ"

¹ - ليلي درويش، « Abrief evolution of satirie » developpement ancient arabic poetry، مجلة قضايا لغوية، مج 5، العدد 2، ص 107-117، 25 جوان 2024، منصة ASJP، 2026/04/05.

² - حمد حسين، الهجاء والهجاؤون، ص 162.

³ - محمد سامي الدهان، الهجاء، ص 12

فصوّر وجهها بصورة الجحيم لما تحمله من العذاب والقبح¹.

ومن الهجاء الفاحش هجاء الحكم بالعدل، كان أعرج أحذب، أبخر نتن الريح، يدّعي

محمداً، يقول:

"لا تُدِنِ فاك من الأمير ونَحْنِي *** حتى يُداوى ما بأنفك أهون

إن كان للضربان جحر منتن *** فلجحر أنفك يا محمد أنتن"².

ب. التقليل من الشأن والسبّ: فكان الشاعر أول ما يمسك به هو النسب، وأداته هي المرأة،

حين يستطيعون النيل من المهجو من كل جهة: عرضه، وقبيلته، وخوفه من العار، وتسلب

الهجاء عليه. يقول الشاعر في قيس بن عاصم، وهو سيد أهل الوبر، يذكر مثالب أبيه

وأمه، ولم يكن يعترض فيه لقيس مباشرة، ولكن أتى عليه بهذا البيت:

"لحا الله أعلى تلعة حفشت به *** وقلنا أقرب ماء قيس بن عاصم"

تلعة يعني صلب أبيه، حفشت دفعت، والقلت رحم أمه، والماء نطفة أبيه³.

ويقول الفرزدق هاجياً نساء قوم جرير:

"وتمسي نسوة لبني كليب *** بأفواه الأزقة مقعيات

يبعن نفوسهن بكل فلس *** كبيع السوق خذ منى وهات"⁴

ويقول الحطيئة في هجائه الزبرقان بن بدر وقومه:

¹ - المرجع نفسه، ص 37.

² - أهرن: أحد الأطباء المغروفين والظربان منتنة الريح من إعداد يحيى الشامي، أروع ما قيل في الشعر العربي، ص 251.

³ - ينظر: محمد حسين، الهجاء والهاجؤون، ص 163.

⁴ - محمد سامي الدهان، الهجاء، ص 16.

"لما بدا لي منهم عيب أنفسكم *** ولم يكن بجراح منكم آس

أزمت يأساً متيناً من نوالكم *** ولن يرى طارداً للحر كاليأس

جارٍ لقوم أطالوا هون منزله *** وغادروه مقيماً بين أرماس

ملّوا قراه وهزّته كلابهم *** وجرجروه بأنياب وأضراس"¹

2- الهجاء القبلي: هو الهجاء الموجّه إلى الجماعة من الناس أو القبيلة، خاصة في

العصر الجاهلي. ظهر هذا النوع من الهجاء، وذلك راجع إلى عدة أسباب، منها:

-العداوة: كانت بين القبائل، إذ إذا تخاصمت وتقاتلت كان بعد السيف هجاءً أشدّ منه.

فالشاعر يفتخر بمكانة قبيلته، وينال من أعدائهم، ويصفهم بأبشع الصور، فكان الهجاء وسيلة من وسائل الحرب أيضاً.

-الحسد: كانت هذه الصفة منتشرة بين الجميع للوصول إلى السلطة والمكانة، فكان هو نار الهجاء بين الشعراء التي أشعلت المعركة.

-الموقع: التنافس والصراع بين القبائل على المكانة والسلطة² والقوة الأفضل.

بعض الأمثلة الشعرية:

ومن الهجاء الجماعي الجيد، وطبيعته الذم والتحقير، ما قالت امرأة في بني عوف بن

كعب، قاتل زوجها، فقالت:

"متى تردوا عكاظ توافقها *** بأسماء مجادعها قصار

أجيران ابن مية خبروني *** أعين لابن مية أم ضمار

¹ - يحيى الشامي، ص 199. كان الشعراء يصطنعون أسلوب الحطيئة في التكسب.

² - ينظر: عباس عجلان، الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية، ص 183.

تجلّ خزيها عوف بن كعب *** فليس لخلفها منه اعتذار

فمنكم وما تخفون منها *** كذات الشيء ليس لها خمار"

3. الهجاء السياسي: ظهر هذا النوع من الهجاء في العصر الأموي، خاصة مع تواجد

الأحزاب السياسية، فكان الشاعر هو لسان السياسة في الدولة، وهنا وُلد ما يسمى شعر

النقائض، مع أشهر الشعراء: الأخطل، والفرزدق، وجريـر. وعندما يقوم زعماء السياسة

يجعلون من الشاعر وسيلة لتمهيد مشاريعهم.

بعض الأمثلة الشعرية، يقول الحطيئة في هجاء بني عبدان:

"لم نطأكم يوماً بظلم ولم ننتهك *** حجاباً ولم نحل حراماً

يا بني منذر بن عبدان والبطنة *** يوماً قد تأفّن الأحلاماً¹

لم أمرتكم عبداً ليهجوا قوماً *** ظالميهـم من غير جرم كراماً"²

ويقول عبد الرحمن بن الأشعث حين خرج من سجستان إلى العراق، وبين يديه أعشى

همدان:

"شطّ نوى داره بالإيوان *** إيوان كسرى الذي القرى والريحان

فالبند نيجن إلى مزداستان *** فالجسر فالكوفة فالغريان

من عاشق أضحى بزابلستان *** إن ثقيفاً منهم الكذابان

كذابها الماضي وكذاب ثان *** أمكن ربي من ثقيف همدان"¹

¹ - تأفّن الأحلاما: تذهب بها، رجل مأفون: ضعيف العقل.

² - محمد سامي الدهان، الهجاء، ص 60.

4. الهجاء الثقافي: هو شكل من أشكال الهجاء الموجّه إلى ثقافة المهجو، من العادات والتقاليد وطريقة عيشه، ساخرًا منها ليقُلّ من شأنها، ويفتخر بحضارته وتقَدُّم قبيلته. ومن النماذج البارزة للهجاء الثقافي في العصر العباسي هجاء بشار بن برد للأعراب، مهاجمًا مظاهر حياتهم اليومية، خصوصًا الطعام والشراب، جاعلاً منهما رمزًا للتحضّر والبداءة، ليبين الفرق بين الثقافتين من ناحية العيش، باعتباره إحدى مكونات الهوية الاجتماعية. فكان الشاعر يرى في الثقافة الفارسية مدينةً متقدّمة، ويهجو الأعراب وأسلوب حياتهم، ويعدّهم متخلّفين، حيث كان يفخر بأكلهم السميد المطبوخ، وشربهم في أوانٍ من الذهب والفضة، لرقى حضارتهم وكثرة الخدم القائمة على راحتهم. ويهجو الأعراب، ويصفهم بالفقراء المنحطّين فكريًا وثقافيًا، يأكلون كل ما حضر، وإن أصابهم العطش شربوا من نفس الماء مع الكلاب، فهم مثل الحيوانات²، ووصفهم بالفُمرّ الخارج عن الحضارة.

المبحث الخصائص الفنية للهجاء:

- الهجاء يعتمد على البساطة في التعبير والأسلوب دون تكلف.
- كلامه النثري يقرّر الأشياء كما هي دون صنعة شعرية في ألفاظه فهي تصعفه.

¹ - الكذاب الأول هو المختار بن عبيد الثقفي، ويقصد بالكذاب الثاني الحجاج بن يوسف الثقفي، محمد الحسين، الهجاء والهاجؤون في صدر الإسلام، ص 21.

² - فهد بن عبد العزيز بن محمد عبه، الطعا مرآة حضارية، قراءة جديدة في هجاء بشار بن بر الشعوبي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد 1، جامعة الرياض، السعودية، ص 396.

-الهجاء تعبير عن عاطفة السخط والغضب، فقال أحد الشعراء إن الغضب يدفع إلى الشعر، وهنا يقصد من خلال كلامه أنّ الهجاء وليد الغضب، وهي خطب مشحونة بالانفعال.¹

-ينسج الصورة من الجناس والمقابلة والطباق.

-يعتمد على الواقعية والذاتية، فالهجاء يعكس الواقع ويعرّيه من كل ما فيه.²

-الهجاء ناقد لحياة المجتمع والأفراد.³

-يقوم على الملاحظة الدقيقة.

-اتخذ الهجاء شكلاً جديداً غير الشعر، فأصبح مقالة أو قصة أو عملاً سينمائياً.⁴

-الهجاء توثيق للتاريخ والأنساب، فهو فخر للقبيلة وسيف يصور ضعف الأعداء.

المبحث الثالث: أساليب الهجاء ولغته.

لكل فنّ من فنون الشعر أساليب وطرق تميّزه عن غيره من أغراضه، من بينها:

1. أسلوب الصدق والبعد عن المبالغة: فالهجاء يقوم على الصدق والواقعية في التعبير،

دون اللجوء إلى التخييل؛ لأنه ينقص من صدقه وقوته، إذ إنّ الهجاء يستند إلى العيوب

الحقيقية للمهجو، من تاريخه ونسبه ومجتمعه وغير ذلك من النقاط، حتى يهاجمه فيها

¹ - فوزي عيسى، الهجاء في الأدب الأندلسي، ص 195.

² - ينظر: عزيز صالح الدعيس، لغة الشعر في ديوان الخماسة لأبي تمام (الأدب - النسب - الهجاء)، المكتب الجامعي الحديث، 28 جانفي 2009، ص 167.

³ - محمد محمد حسين، الهجاء والهاجؤون في الجاهلية، ص 31-36.

⁴ - المرجع نفسه، ص 32.

دون إضافة، لأن الناس تعتبر الشاعر لساناً أو سلطاناً لا كلام بعده، وإن كذب ووقع في الخطأ بارت أقواله، ولم يُجد لشعره الرواية، وابتعد عنه الناس. وفي هذا الصدد يقول ابن رشيّق:

"أبلغوا هوازن أعلاها وأسفلها *** أن لستُ هاجيها إلا بما فيها"¹

2. **المبالغة والتزايد:** فالشاعر يبني شعره على المعطيات التي يراها في الواقع، فيبالغ ويزيد كما تقتضي الحاجة، وهذا الأسلوب مرتبط بالحالة النفسية للشاعر، والحالة التي يكون فيها المهجو من الصفات.

فحسان يبالغ ويزيد في هجاء هذيل، فصوّر اللؤم على أنه رجل، ولو خُلِق إنساناً لكان شبيهاً بهذيل شكلاً².

3. **أسلوب المقارنة:** يُعتبر هذا الأسلوب كثير الشيوع في القصيدة الهجائية، إذ يقارن الشاعر بين الناس والتفاوت الذي بينهم، فيتضمن نوعين من الأغراض: المدح، لإظهار محاسنهم، والهجاء، لإحاطة القبح الموجود فيهم.³

رُوي أنّ عمر بن الخطاب نهى عن هذا النوع من الهجاء الذي اتّخذ الحطيئة، وسمّاه الهجاء المقذع، بعد هجائه للزيرقان بن بدر⁴.

¹ - عباس بيومي عجلان، الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه، ص 313.

² - المرجع نفسه، ص 313

³ - عباس بيومي عجلان، الهجاء الجاهلي أساليبه وصوره، ص 315

⁴ - الاسم الحطيئة جرول بن أوس العبسي شاعر مخضرم عرف بهجائه المقذع مما أدى إلى سجنه في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ووعد بالتوقف فعفى عنه الصحابي الجليل لكن عند وفاته عاد إلى الهجاء.

4. الأسلوب غير مباشر: أحد أساليب الهجاء يعتمد على التلميح، فيلجأ له الشاعر للتحذير

أو الإنذار دون ذكر اسم المهجو، فيوجه هجاءه ويفهم من كان مقصوداً به.

5. الإيجاز: في هذا الأسلوب يركز الشاعر على الألفاظ القليلة دون الإطالة، ليسهل حفظه

دون مساس بالمعنى المراد إيصاله¹.

6. الإطالة: هي أسلوب هجائي يقوم فيه الشاعر بتوسيع الكلام، والإكثار من الأبيات، وذكر

التفاصيل الكثيرة عن المهجو وعيوبه، وتشويه صورته².

7. الإضحاك: أو ما يسمى بالهجاء الكاريكاتيري الساخر: يعتمد فيه الشاعر على السخرية

والفكاهة، حتى يجعل الناس يضحكون من المهجو، وهو فن نما وبزغ فيه ابن الرومي

في قصائده الهجائية³.

• لغة الهجاء:

يُعدّ الشعر مرآة تعكس عواطف الشاعر، فتتوّعت أغراضه من موضوع إلى آخر،

فالشاعر يختار لغته حسب الموقف؛ فإذا أراد الغزل اختار ألفاظاً رقيقة عذبة، أما لغة المدح

فألفاظها ذات الجزالة والقوة، فلكل موضوع لغة وأساليب تشاكلة.

فلغة الهجاء تستمد وجودها من عاطفة الغضب والحرب⁴، فانّسّمت بالعنف. فالهاجرة،

وهي منتصف النهار حين تشتد الشمس وترتفع الحرارة في كل شيء في الصحراء، تُشتق

¹ - لعل في إجابة عقيل علفة حين سئل مالك لا تطيل الهجاء فقال كيفيك من القلاة ما أحاط بالعنق ما كيفيك عن التفصيل.

² - المرجع نفسه، 319.

³ - ينظر: فوزي عيسى، الهجاء في الأدب الأندلسي، ص 10

⁴ - ينظر: فوزي عيسى، الهجاء في الأدب الأندلسي، ص 195.

منها الهواجر، وهو الكلام المفحش. ومنها: «أشقد» أي رمى بسوء في الكلام، وهذا الفعل بصيغة: «أشقدوني». يقول عمرو بن وميئة:

"على أن قومي أشقدوني فأصبحت *** ديارى بأرض غير دان نبوحها"

تتميز لغة الهجاء بالتقصي وتتبع العورات، فهي سلاح الشاعر ضد خصومه. وهنا يقول الجاحظ: "ويلغ من خوفهم من الهجاء، ومن شدة السب عليهم، وتخوفهم أن يبقى ذلك في الأعقاب ويُسبّ به الأحياء والأموات، أنهم إذا أسروا الشاعر أخذوا عليه الموانيق".¹ كما تتسم لغة الهجاء بالتحديد والمباشرة والحسية حتى تتحقق الغاية، ومن بين الأفعال التي ساهمت في ذلك فعل «رأى»، وهو أكثر أفعال الحس ذات الدلالة الحسية والبصرية في التعبير عن المعاني.

أما الأفعال: «أبصر» و«سمع»، فتتخذ دلالة حسية واضحة، وهي تجعل التجربة الشعرية مباشرة وتقديرية.

المبحث الرابع: تطور فن الهجاء في التراث العربي.

1. في العصر الجاهلي:

الهجاء تطوّر وتغيّرت مفاهيمه عبر عصور الأدب، ففي العصر الجاهلي كان الهجاء مرتبطاً بالعصبية القبلية والبيئة العربية التي كانت تقوم على التنافس والحروب بين القبائل²، فكان الشاعر هو لسان قومه، سخر كلامه للدفاع عنها. فكان الشعراء يعتمدون على الشعر

¹ - عباس بيومي عجلان، الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه، ص 243.

² - ينظر: سراج الدين محمد، الهجاء في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، لبنان، د ط، ص 10.

كسلاح أكثر من السيف، محاولين انتزاع الصفات الحميدة من المهجو، كالانتقاص من نسبه وقبيلته وعرضه، وإصاق المجازي بها¹.

ظهرت عدة أنواع خلال هذه الفترة، منها: الهجاء السياسي، والهجاء القبلي، والهجاء الديني، والهجاء الشخصي.²

كانت القبيلة تفتخر على غيرها إذا وُلد فيها شاعر، فالشاعر عزيز في قومه، يضع شعره لخدمة قبيلته. وكانت المعاني في قصيدة الهجاء تزدّم الضعف والبخل والاختلاط في النسب، أما اللغة فكانت قوية؛ لأنها لغة الحروب³.

ومن أمثلة الهجاء الجاهلي هجاء الحطيئة لأمه:

"جزاك الله شرًّا من عجوزٍ *** ولقّاك العقوقَ من البنين

تنحّي فاجلسي منّا بعيدًا *** أراح الله منكِ العالمين

أغربالًا إذا استودعتِ سرًّا *** وكانوا على المتحدثين⁴

2. عصر صدر الإسلام:

عندما جاء الإسلام نهى عن كل المفاهيم الجاهلية عند العرب، خاصة الهجاء الفاحش الذي يهاجم أعراض الناس بالشتم والتجريح، فتهذبت ألفاظه للدفاع عن النبي ﷺ وعن

¹ - ينظر: فوزي عيسى، الهجاء في الأدب الأندلسي، ص 13.

² - عباس عجلان، الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه، ص 160.

³ - ينظر: سراج الدين محمد، ص 11.

⁴ - شرح كلمة كانونا من القصيدة: وهو موقد النار وفي البيت هو النمام الثقيل الذي إذا دخل إلى القوم كانوا حديثهم عنه. يحيى شامي، أروع ما قيل في الشعر العربي، المجلد 1، دار الفكر العربي، بيروت، ص 191.

العقيدة ضد المشركين، ومدح الرسول والرسال، ويُروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أنه قال: "من قال في الإسلام هجاءً مُقذعاً فلسانه هدر".¹

ومن أشهر الشعراء: شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت، وكعب بن

مالك، وعبد الله بن رواحة.

وعن حسان بن ثابت يهجو أبا جهل:

"مشؤومٌ لعينٌ كان قدماً مبغضاً *** تبين فيه اللؤم من كان يهتدي"

ويقول هاجياً هند أم معاوية يوم أحد:

"أشرت لكأع، وكان عادتها *** لؤم إذا أشرت مع الكفر

لعن الإله وزوجها معها *** هند الهنود، طويلة البظر

أقبلت زائرةً مبادرةً *** بأبيك وابنك يوم ذي بدر

ونسيت فاحشةً أتيتُ بها *** يا هند، ويحك، سبّة الدهر"²

3. في العصر الأموي:

في هذا العصر عادت العصبية القبلية في الشعر، وجاء الهجاء بالثوب الجديد، وهو

فن النقائض، الذي ازدهر خلال المناظرات السياسية والاجتماعية التي عرفها الشعراء في

هذه الفترة. ومن أشهرهم: الأخطل، وجريز، والفرزدق. لكنها لم يرها بها الجد كما كانت في

الجاهلية، بل غايتها الاستهزاء والإضحاك فقط.³

¹ - رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

² - سراج الدين محمد، الهجاء في الشعر العربي، ص 25.

³ - ينظر: فوزي عيسى، الهجاء في الأدب الأندلسي، ص 13.

فكان الهجاء الأموي تغلب عليه النزعة الالتزامية، والنقائض، والعاطفة الوجدانية.¹

كان الشاعر ينظم قصيدة هجائية، فيردّ عليه شاعر آخر بمثلها، ملتزمًا نفس البحر والقافية والموضوع. فعرفت هذه الفترة ما يسمى بشعر التكسب؛ لأنه أصبح باب رزق لهم، فالبعض بلغوا ثراءً كبيراً منه، وهذا التنافس دفع بهم إلى البحث عن المعاني الجديدة.²

4. في العصر العباسي:

العصر الذهبي ونبوع العلم والتحضر، فتح الباب للعلوم والفلسفة، "وكان يتميز هذا العصر بميزة النزاع الفكري والخصام في سبيل اكتشاف الحقيقة".³

ظهرت عدة اتجاهات جديدة في الهجاء، منها: هجاء المدن، وهجاء العرب والعجم، وهجاء رجال الدين.

بالإضافة إلى أن الشاعر أصبح ينظم قصيدته الهجائية على المقاطع القصيرة، لا نقل عن البيتين أحياناً، لسهولة فهمها وإلقائها للناس باللغة الشعبية التي تفقها العامة؛ كي يكفل انتشارها.⁴

بعض الأمثلة: قول ابن الرومي، المعروف بهجائه الكاريكاتيري الساخر، يقول:

"وجهك يا عمرو فيه طولٌ *** وفي وجوه الكلاب طولٌ

والكلب وافٍ وفيك غدرٌ *** ففيك عن قدره سفولٌ

وقد يحامي عن المواشي *** وما تحامي ولا تصول"¹

¹ - إيليا الحاوي، فن الهجاء وتطوره عند العرب، دار الثقافة، د ط، بيروت، د ت، ص 183.

² - يحيى شامي، أروع ما قيل في الشعر العربي، ص 222.

³ - ينظر : إيليا الحاوي، فن الهجاء وتطوره عند العرب، ص 439.

⁴ - ينظر: سراج الدين محمد، الهجاء في الشعر العربي، ص 49.

ويقول بشار بن برد هاجياً رجلاً ثقيلاً:

"ربما يثقل الجليس وإن كان *** خفيفاً في كفة الميزان

كيف لا تحمل الأمانة أرض *** حملت فوقها أبا سفيان"²

5. في العصر الأندلسي:

عرفت الحضارة الأندلسية فنّين، هما: الموشحات والأزجال، وأيضاً درست جميع الأغراض من الغزل والمدح والثناء وغيره، باستثناء الهجاء، فلم تُعطه القيمة، ولم تقم له سوقاً رائجة في الأندلس، وأغفلت ذكر شعرائه³.

فكان الأدب الأندلسي، خاصة الهجاء، يُهاب من طرف الناس خوفاً من حدّة لسان شعرائه؛ فإذا هجا الشاعر جرح ومزّق.

بالإضافة إلى أن الهجاء كان تقليداً للأدب المشرقي، وكان وسيلة للتكسب والارتزاق. ومن أهم الشعراء: محمد بن يحيى القلّفاط في هجاء إبراهيم بن حجاج حاكم إشبيلية،

فقال: أبغى نوال الأكرمين معاولا *** أبغى نوال البومة النكباء"⁴

¹ - المرجع نفسه، ص 50.

² - سراج الدين محمد، الهجاء في الشعر العربي، ص 56.

³ - ينظر: فوزي عيسى، الهجاء في الأدب الأندلسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2007، ص 18.

⁴ - فوزي عيسى، الهجاء في الأدب الأندلسي، ص 19.

المبحث الخامس: من الهجاء إلى الاحتجاج.

1. ماهية الاحتجاج.

أ. في اللغة: كما جاء في القواميس اللغوية، «احتجّ على» بمعنى اعترض واستنكر،

وطالب بالتغيير والمعارضة والقصد والتخاصم.¹

والاحتجاج على صيغة الافتعال، واسم مفرد مصدره «احتجّ»، أي استند إليه بمعنى

اتخذ حجةً له، ومنه الحجة، وهي اسم مفرد: حجاج وحُجج، ولهذا يقال: احتجّ على خصمه

بحجة.²

كما ورد في لسان العرب: «الحجة البرهان»، وقيل: «الحجة ما دُفع به الخصم». وقال

الأزهري: "الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة"، وهو رجل محجّاج، أي جدل.

والتحاج: التخاصم، وجمع الحجة: حجج وحجاج، وحاجه محاجةً وحجاجًا، وحجةً بحجة

حجا غلب على حجته، وفي الحديث: «الدجال أن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه»، أي

محاجّه ومغالبه بإظهار الحجة عليه.³

والحجة هي الدليل والبرهان، وحاجّه محاجةً وحجاجًا، أي جادله، واحتجّ عليه وأقام

الحجة وعارضه مستنكرًا فعله.⁴ والحجة أيضًا: الذريعة أو العذر.⁵

¹ - إبراهيم مهديوي، الشعر والاحتجاج، مجلة عطاء للدراسات والأبحاث، العدد 9، ص 29

² - المحاضرة الثانية من إعداد علي زواي أحمد، ص 07.

³ - ابن منظور، لسان العرب، المجلد 4، ص 18.

⁴ - مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة، 2000، ص 158.

⁵ - يوسف محمد رضا، معجم اللغة العربية الكلاسيكية، ص 533.

كما وردت لفظة «حجة» في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ¹، بمعنى جادل، وفي سورة آل عمران: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ²، أي خاصموك.

ب. في الاصطلاح:

يُعرّف أدب الاحتجاج بأنه أدب المقاومة، والصوت من أصوات وجدان المجتمع على الأوضاع السياسية، فالأدب الفارسي غني بالرفض والاحتجاج ضد الاستبداد.³

كما أنه يُصطلح عليه بالحراك الاجتماعي الذي يهدف إلى الدفاع عن المصالح لفئة أو أكثر، والذي يهدف إلى التغيير بطريقة سلمية.⁴

إن الشعر شكل من أشكال الاحتجاج، يعبر عن مطالب الشاعر الراضية للحالة الاجتماعية في نصوصه.⁵

الاحتجاج هو تعبير عن الرفض والاستياء تجاه نظام اجتماعي أو حدث فردي، وله عدة أشكال، منها: المظاهرات الجماهيرية، أو المقاطعة الاقتصادية، أو غيرها.⁶

إن الاحتجاج هو إثبات شيء بدليل النقل، ويعود لمن يصح الاحتجاج به لتوثيق المسألة من المسائل،¹ والاحتجاج طريقة استشهاد.²

¹ - سورة البقرة، الآية: 288.

² - سورة آل عمران، الآية: 20.

³ - أحمد محمد جاد الحق، شعر الاحتجاج في الأدب الرقمي الإيراني، احتجاجات سبتمبر 2022 نموذجاً، مجلة كلية الآداب، جامعة بور سعيد، العدد 25، جوان 2022، ص 18.

⁴ - إبراهيم مهديوي، الشعر والاحتجاج، مجلة عطاء للدراسات والأبحاث، العدد 09، ص 30.

⁵ - المرجع نفسه، ص 31.

⁶ - <https://turkiyetodays.com>

كما يعرفه هانيمان بأنه: "ضرب من ضروب عرض البرهان الذي يعلل الفرضيات والدوافع".³

نستنتج أن الاحتجاج باختلاف معانيه، فهو تعبير عن الرفض والاعتراض عن حالة من الحالات السائدة بهدف التغيير.

2. أساليب الاحتجاج.

للاحتجاج أساليب كثيرة ومتنوعة، من بينها:

أ. **أسلوب التناص:** وهو ظاهرة أدبية يضمن فيها الشاعر نصّه من نصوص أخرى، ويبدع فيها لنقل رسالته للناس، طارحاً قضية معينة، محاولاً تغيير شيء ما، وله أشكال عدة، منها: التناص الديني والتاريخي...⁴.

ب. **الأسلوب القصصي:** هو الأسلوب الذي تميّزت به القصيدة الحديثة، ليصوّر حدثاً معيناً من التاريخ أو الحياة اليومية، ليرسم الصور المتخيلة، ويعبّر فيها عن رفضه تجاه السلطة. ومن بين الشعراء أحمد مطر في قصيدته "الحائط يحتج"⁵.

¹ - أبو بكر، الاستشهاد اللغوي ومصادره، مجلة القسم العربي، جامعة باكستان، العدد 24، 2017، ص 161.

² - عماد علي الخطيب، نقد فكرة الاحتجاج في التراث، ص 20.

³ - حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مجالاته مفهومه، دار الكتب الحديثة، الأردن، 2010، ص 08.

⁴ - رحيمة عبد العلي فرحان الغرياني، الاحتجاج في أشعار أحمد مطر: قراءة في التشكيل والرؤيا، كلية الكويت الجامعية، مركز البحوث والدراسات والنشر، ص 15.

⁵ - المرجع نفسه، ص 39.



الفصل الثاني:

حياة العربي المشرفي.



يعدّ العربي المشرفي أحد علماء الجزائر والمغرب، وعلما من أعلام الفكر والأدب في القرن 19م، عاصر المرحلة المتأخرة من الحكم العثماني، وبداية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830، انتمى لأسرة المشاركة، التي كان لها دور ريادي في بث العلوم والمعارف بمعسكر، وبين نشأته بها، ووفاته بالمغرب في عمر ناهز التسعين سنة، حياة مليئة بالعلم والتدريس، ولكن أيضا بشهود أحداث، ومعايشة صعوبات، وإحساس بالغربة وتعرض للدسائس، وهو ما انعكس على كتاباته كما سنراه في هذا الفصل.

المبحث الأول: نشأة المشرفي.

1. مولده ونسبه.

ولد العربي المشرفي، على الأرجح سنة 1818 بقرية الكرط¹، وهذا اعتمادا على ما أورده في مؤلفه "الحسام"، بكونه قد بلغ الخمسين من عمره عند تأليفه، إلا أن ذلك يبقى أيضا مجرد احتمال²؛ لأنّ مولده حسب آخرين أسبق من ذلك بعدة سنوات، وهذا اعتمادا على أقواله هو، باعتباره كان يدرس بوهراّن سنة 1824، وغادرها إلى معسكر بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830، وتولى تعليم الصّبيان، "وشارك في مبايعة الأمير عبد القادر وساعد بعض التجّار سنة 1836 للتصدّي لقطاع الطّرق وهو خارج من معسكر، أما وفاته سنة 1895م عن عمر ناهز التسعين سنة تجعل سنة 1805 أقرب إلى الصّواب³.

ينتسب العربي المشرفي لأسرة المشاركة⁴، وهي أسرة عريقة تنتسب للأشراف، حيث يتصل نسبه بالرسول صلى الله عليه وسلم، فهو العربي بن عبد القادر بن علي بن محمد بن

¹ - وهذا حسب ما ذكره في كتابه الحسام، وهو ما رجحه صاحب الأعلام. ينظر:

- عباس إبراهيم، الأعلام بمن حلّ مراكز وأغامت من الأعلام، المطبعة الملكية، ج9، المغرب، 1999، ص27.

² - عبد الحق شرف، "الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعفري الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن الكنسوس" للعربي بن عبد القادر المشرفي. دراسة وتحقيق إلى نهاية الترجمة الرابعة، أطروحة دكتوراه في التاريخ، إشراف عبد المجيد بن نعمية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2010 - 2011، ص 05.

³ - جمال الدين مهلول وبن عمر حمادو، "منهج أبو حامد العربي المشرفي في التأريخ للجزائر"، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 11، العدد 02، سبتمبر 2020، ص 241.

⁴ - تعدّ أسرة المشاركة من أرقى العائلات العلمية في الجزائر بنسبها وأدوارها التاريخية منحت لها عدّة امتيازات من الأتراك كإعفائهم من الضّرائب، تولي مناصب كالقضاء، وإعطائهم الحق في التجارة، وامتلاكهم العقارات. ينظر:

- مولاي الزهيد العلوي، "جهود علماء الجزائر في خدمة المخطوط المغربي خلال القرن 19م. العلماء المشرفيون نموذجا"، مجلة تاريخية، المجلد 6، العدد 1، 2022، ص 739.

مسعود بن عبد الله بن يوسف بن عيسى البوخليلي بن صالح بن حسن بن علي بن القاسم بن أبي عبد الله بن محمد بن الشيخ مولانا يعقوب بن أبي إسحاق بن عبد الله بن أبي عمر بن موسى بن الشيخ مولانا صفوان الملقب بلسان القيط عند العجم بن بشار بن موسى بن سليمان بن يحيى بن موسى بن عيسى بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم¹.

وهذا ما جعل العربي المشرفي ينشأ في أسرة علم ودين وتصوف، ترسخ المبادئ الإسلامية، وتلقن أبناءها علوم عصرها، وهو ما جعله يختار طريق حمل العلم كبقية الشخصيات في عائلته والتي كانت قد سبقته، مثل الشيخ عبد القادر المشرفي، وابنه الطاهر المشرفي، وحفيده محمد بن عبد الله سقاط².

2. نشأته وتعليمه.

يبدو أن عائلة العربي المشرفي كان لها الفضل في تلقيه للتعليم الديني الأساسي، حيث كان لوالده³ أثر في ذلك، وهو الذي كان فقيها ومتضلعا في العلوم الشرعية، ثم انتقل إلى كتاب قرية الكرط لحفظ القرآن الكريم، قبل أن يشتد عوده، ثم انتقل إلى مدينة معسكر ليتم طلبه للعلم، حيث تتلمذ آنذاك على يد أهم شيوخها نذكر من بينهم: الطيب بن عبد

¹ - عبد الحق شرف، الحسام المشرفي...، مرجع سابق، ص 06.

² - عبد الحق شرف، العربي المشرفي حياته وآثاره، رسالة ماجستير، تخصص: التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف عبد المجيد بن نعمية، جامعة وهران، 2006 - 2007، ص 61.

³ - عبد القادر بن علي المشرفي هو أبو المكارم عبد القادر بن عبد الله، المشرفي من مدينة معسكر كان فقيها له دراية في جميع العلوم الشرعية ذو سمعة طيبة تقصده الخصوم لعدله. ينظر:

-قدور بوجلال، "إسهامات الشيخ عبد القادر المشرفي في الحفاظ على وحدة إيالة الجزائر أمام الخطر الإسباني"، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 29، رمضان 1437، جوان 2016، ص ص. 548 - 550.

الرحمن¹، وأحمد بن التهامي²، وخاصة محمد بن عبد الله المشرفي المعروف بسقاط³، وهو الذي تعلم عنده علم التفسير والفقه والنحو وعلم العروض، حيث يقول:

وشيخنا عبد الله هو ابن عمنا *** قرطاس العلوم الماهر المتقننا.

كما انتقل العربي المشرفي بعد ذلك إلى تلمسان ليتم طلبه للعلم عند بعض علمائها، كالشيخ الحاج الداودي التلمساني⁴، ثم إلى وهران كآخر محطة سنة 1824، ليواصل تعليمه عند شيوخه الذين تتلمذ عندهم في معسكر، فأمضى ست سنوات من التحصيل، وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر رجع إلى مسقط رأسه ليتولى تدريس الصبيان، وبعد تراجع مقاومة الأمير عبد القادر، هاجر العربي المشرفي إلى المغرب سنة 1844، نتيجة الأوضاع الصعبة في الجزائر⁵.

¹ - الطيب بن عبد الرحمن: أحد علماء مدينة معسكر، فقيها في الدين والتّحّو، أشاد بفضله العربي المشرفي لقوله: شيخنا أخذنا عنه الألفية درسا قراءة وتدقيق، ينظر:

- عبد الحق شرف، العربي المشرفي، حياته وآثاره، مرجع سابق، ص 64.

² - أحمد بن التهامي: أحد كبار مشايخ معسكر، عالما وفقهيا عيّن رئيسا للمجلس الشوري للأمير عبد القادر، توفي في مصر أثناء ذهابه للحجّ. ينظر: عبد الحق شرف، الحسام المشرفي، مرجع سابق، ص 09.

³ - عبد الله سقاط: هو زين العابدين أبو محمد عبد القادر بن مصطفى بن عبد القادر بن عبد الله المشرفي العربي الراشدي، منحدر من أسرة المشاركة. تولى القضاء في عهد الأمير عبد القادر، كان عالما موسوعيا في علوم شتى، ينظر: - نبيل بلهي، "مسند المغرب الأوسط عبد القادر سقاط المشرفي المعسكري (1280هـ) حياته وإجازاته"، مجلة المنهل، المجلد 08، العدد 02، 2022، ص 344.

⁴ - القاضي الفقيه الحاج الداودي التلمساني (المتوفى سنة 1272هـ/1854م)، للمزيد حول ترجمته وحياته العلمية، ينظر على التوالي:

- خالد بن زيان، "الإمام الداودي حياته الشخصية والعلمية"، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مجلد 15، عدد 01، 2024، ص ص. 173-2016.

- لشهب محمد، "القاضي الفقيه الحاج الداودي التلمساني المتوفى سنة 1271هـ/1854م محطات من سيرته الاجتماعية وجهوده العلمية"، مجلة الشهاب، مجلد 7، عدد 3، ص ص. 509-546.

⁵ - عبد الحق شرف، الحسام المشرفي، مرجع سابق، ص 12.

3. الهجرة إلى المغرب والوظائف المتقلدة.

هاجر العربي المشرفي إلى المغرب سنة 1844، واستقر بفاس، وعن سبب هجرته يقول: ".. والسبب الحاصل لنا على ذلك، أي الهجرة، وإن كنا لسنا أهلاً لذلك، الغيرة على الدين والكف لحرية المشركين..."¹، ونستنتج من خلال قوله أن أحد أسباب الهجرة هو الدين وخوفه عليه من الضياع نتيجة الاستعمار الفرنسي للجزائر، والبلد الوحيد الذي لم يصله الاستعمار هو المغرب، وأيضاً كانت هي وجهة العلم والعلماء.

ويقول أيضاً: "قولاية أهل النبوة أمان لهذه الأمة من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، وهذا أحد الأسباب التي جاءت بنا للمغرب، فاخترنا الهجرة إليها دون أرض تونس وما وراءها من الأمصار. ألا ترى إلى فاس وأحوازها، بل جميع الإيالة المغربية حاضرة وبادية، وكيف نجاها الله مما أصاب غيرهم من واسطة المغرب وتونس المجاورة، فقد تغيرت أحوالهم بظهور كلمة الكفر في تلك النواحي، أعدها الله دار الإيمان..."².

ويعتقد مولاي الزهيد العلوي، أن هذه الهجرة تستند في جزء منها على إجابات تلك الأسئلة التي حملها عبد الله سقاط المشرفي من الأمير عبد القادر بن محي الدين إلى علماء فاس، حول "حكم من ساكن العدو الكفور ورضي بالمقام معه فيما له من البلاد والثغور"،

¹ - عبد الحق شرف، الحسام المشرفي، ص 107.

² - هشام البقالي، "مساهمة العربي المشرفي في الحياة الفكرية لمغرب القرن 19، دراسة بيبليوغرافية"، دورية كان التاريخية، العدد 48، السنة الثالثة عشرة، جويلية 2020، ص 132.

والذي أشار ببقاء الهجرة إلى يوم القيامة، ووجوبها بالخصوص من دار الحرب إلى دار الإسلام¹.

وقد اشتغل المشرفي مدرسًا للصبيان في مدينة القصر الكبير² لمدة عامين، كما أنه كان ينسخ الكتب باعتباره كان سريع الكتابة، لدرجة أنه يكتب الكراسة بين العشاءين، حيث قام بنسخ مكتبة كاملة لأحد أعيان المخزن، وهو عبد العزيز العريسي، وأشاد بفضله قائلاً: "فمنذ قدمت مهاجرًا لمدينة فاس أعانني في عطاء الناس، وقد كتبت له خزانة بخط يدي، ما تركت فنًا إلا وكتبت له به، أما هاته فلوافر أجره، دون العطايا التي يخصني بها، ولم أنس خيره..."³.

ويبدو أن العربي المشرفي كان قد عانى من صعوبة الوضع المعيشي، مما اضطره إلى حياة الكدح والتكسب بفاس لمدة 25 سنة، ولكنه رغم ذلك لم ينعزل عن الكتابة والتأليف، فحيث لم يدع شيئًا مما كان قد شاهده أو حضره من أحداث سياسية وأحداث أخرى في

¹ - مولاي الزهيد العلوي، "جهود علماء الجزائر في خدمة المخطوط المغربي خلال القرن 19م" العلماء المشرفيون نموذجًا"، مرجع سابق، ص 737-738. (ص ص. 735-752).

² - القصر الكبير: يقع بمدينة القصر الكبير في الشمال الغربي للمغرب على وادي متسع على ضفاف نهر اللوكوس الذي يحيط بها من جهتي الغرب والجنوب وتعتبر من أغنى المناطق الزراعية وواقعا استراتيجيا، ينظر: - القصر الكبير: التصميم والدليل المعماري، نشر نيكولا راميراز والمديرية العامة للسكنى والمعمار، القصر الكبير، 2009.

³ - العربي المشرفي، ديوان نظم في من أيقظ للدين جفن الوسن مولانا الحسن، ص 69، نقلا عن:

- عبد الحق شرف، الحسام المشرفي...، مرجع سابق، ص 31.

عصره إلا وكتبه، فنجده، فحتى هزيمة تطوان سنة 1860 أمام الإسبان¹، قد خلدها في مرثية حزينة يقول فيها:

"يا دهر قل لي على من كثرت *** كثرت جمع السلامة

تصبت للرواهي *** ولم تخف من ملامة"

4. مؤلفاته وإجازاته.

لقد كان العربي المشرفي غزير التأليف، حيث ترك لنا عدة مؤلفات في فنون مختلفة، بعضها قد حقق وطبع ولكن أغلبها لازال مخطوطا، وقد تنوعت بين كتب دينية وعقدية وأدبية وتاريخية وكتب الردود، هذه الكتب نذكر من بينها:

1. ذخيرة الأواخر والأول فيما يتضمن أخبار الدول.
2. طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار، وفي عتو الحاج عبد القادر وأهل دائرته الفجار.
3. الآيات والحوادث.
4. ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة².
5. نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار تنفي عن المتكاسل الوسن في مناقب سيدي أحمد بن محمد وولده الحسن.

¹ - حرب تيطوان: هي حرب إفريقية كانت في المغرب ضد الإسبان مما نتج عنها خسارة المخزن وفرض عليهم الإسبان غرامة مالية تعويضا على تكاليف الحرب وقدرتها عشرون مليون ريال. ينظر:

- عبد العزيز خلوq التلمساني، "حرب تطوان من خلال الأجوبة الفقهية: جواب أحمد المرنيسي نموذجا"، اللقاء العلمي التاريخ وأدب النوازل: دراسات تاريخية مهداة للفقيه محمد زنيبر، كلية الآداب، الرباط، 233-239.

² ورد أيضا بعنوان اليواقيت الثمينة الوهاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة.

6. الرسالة في أهل البصبر الحثالة.
7. الرحلة العريضة في أداء الفريضة.
8. تمهيد الجبال وما وراءها المعمور وإصلاح الحال السواحل والشغور.
9. أقوال المطاعين في الطعن والطواعين.
10. الكنائش¹.
11. مشموم عرار النجد والغيطان، المعد لاستنشاق الوالي وأنفاس المولى السلطان.
12. تاريخ الدولة العلوية.
13. رحلة إلى نواحي فاس.
14. تمهيد الجبال وما وراءها من المعمور وإصلاح حال السواحل والشغور.
15. نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار.
- أما التأليف التي خلفت صدًى كبيرا وهي تأليف السجال والردود والمتمثلة في²:
16. جواب على سؤال السند أبي الحسن علي بن طاهر المدني لعلماء فاس.
17. درة الشقاوة عن السادة درقاوة.
18. الدر المكنون في الرد على العلامة كنون.
19. المشرفي الحمزاوي لقطع فؤاد الخبزاوي.

¹ - جمال الدين مهلول وحمدادو بن عمر، "بعض الابتكارات والاختراعات في القرن 18 من خلال مخطوط نزهة الأبصار لأبي حامد العربي المشرفي"، مجلة الموروث، مجلد 8، عدد 02، 2020، ص 183.

² - مولاي الزهيد العلوي، "جهود علماء الجزائر في خدمة المخطوط المغربي خلال القرن 19م" العلماء المشرفيون نموذجاً³، مرجع سابق، ص 741-742.

20. عجيب الذهاب والجائي في فضيحة الغالي اللجائي.

21. النجم الثاقب.

22. الحسام المشرفي للمهاجر المقتفي.

23. نزهة الماشي في قبائح العياشي المستغانمي.

24. الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعري الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن

أكنسوس، وهو كتابنا الذي سندرسه.

25. الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعري الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن

الكنسوس¹.

كان العربي المشرفي، كغيره من العلماء الجزائريين الذين خلفوا سلسلة من التلاميذ

ساروا على منهجه، ومن أبرزهم:

-محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، وهو ابن عمه، كان قاضياً، فمدحه المشرفي عند

قدومه إلى فاس بقصيدة مطلعها يقول:

"قدمت سالماً للزمان الكاسد *** دهر اللئام ودهر كل فاسد.

محمد بن محمد بن مصطفى *** يا ابن الكرام ونخبة الأماجد"².

¹ - الحسام المشرفي: هو مخطوط ألفه العربي المشرفي سنة 1868 بفاس للردّ على الكنسوس في بعض المسائل التي أوردها في كتابه الجيش العرمم الخماسي تكون من المقدمة وسبعة تراجم والخاتمة. ينظر:

-عبد الحق شرف، العربي المشرفي حياته وآثاره، مرجع سابق، ص 144.

² - عبد الحق شرف، العربي المشرفي حياته وآثاره، ص 107.

-علي بن الحاج بن موسى الجزائري: عالم محدث وقاضٍ، ولد في الجزائر. من آثاره: "رجح التجارة ومغرم السعادة فيما يتعلق بأحكام الزيارة". توفي في بداية القرن العشرين، وقد أجازه العربي المشرفي سنة 1878م¹.

-عبد القادر بن البشير، ذكره شيخه قائلاً: "ومثلك في النجابة والشهرة ولولا لأن له الدهر لا منظر ظهره، أنس المؤانس وسفير العلماء وقت الإقراء في تلاميذنا الصدر المثير السيد عبد القادر بن البشير".

-أبو العباس السيد أحمد، من أشهر القضاة وأحسنهم كفاءة، مدحه العربي المشرفي قائلاً: "بن عمنا الفقيه، التلميذ النبيه ابن العلامة البركة الموفق في السكون والحركة وبالكفاءة خاطبته فأحسن خطأ"².

وقد توفي العربي المشرفي سنة 1313هـ/1895م، عن عمر ناهز 90 سنة. كما أشار شيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله إلى أن وفاته كانت قبل الحماية الفرنسية على المغرب سنة 1912م بسنوات³، ودُفن قرب ضريح علي بن حزم خارج باب الفتوح، وهو التاريخ الذي رجحه صاحب "إتحاف المطالع"⁴.

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ لثقافي للجزائر، ص 72.

² - عبد الحق شرف، العربي المشرفي حياته وآثاره، ص 108.

³ - جمال الدين مهلول وحمدادو بن عمر، "بعض الابتكارات والاختراعات في القرن 18 من خلال مخطوط نزهة الأبصار لأبي حامد العربي المشرفي"، مرجع سابق، ص 182.

⁴ - ينظر حول ذلك كلا من:

-ابن سودة، اتحاف المطالع، الدليل 80، ص 2805.

- محمد منوني، المصادر العربية لتأريخ المغرب، ج2، الفترة المعاصرة، 1730 - 1930م، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ص 91.

المبحث الثاني: عصر العربي المشرفي.

1. البيئة السياسية.

عاصر العربي المشرفي أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي بالجزائر، اتسمت الفترة الأولى بالثورات والتمردات، على غرار الثورة الدرقاوية والتيجانية، بينما اتسم الثاني بالمقاومة ضد الغزاة الفرنسيين، خاصة مع المقاومة الكبرى للأمير عبد القادر، وسنحاول التطرق باختصار لظروف كل واحدة منهما.

أ. ثورة درقاوة.

هي طريقة أو مذهب، فرع من فروع الطريقة الشاذلية¹، ومؤسسها الشيخ محمد الدرقاوي سنة 1805م. عرفت انتشاراً في المغرب العربي، خاصة في مرحلة شهدت الجزائر خلالها أوضاعاً سياسية سيئة بسبب سوء تسيير الحكام لها، وفرض الضرائب التي أتعبت السكان، إضافة إلى تدهور الوضع الفكري. فكانت من أقوى الطرق الصوفية في الجزائر، وكان مركزها جبال الونشريس، ولها علاقات مع امتدادات في المغرب.

كما تشبهت هذه الطريقة بصاحبها في لباسهم ومظهرهم، مثل لبس المرقعات وحمل العصا، وذكر اسم الله، وحمل المسبحة، والمشي حفاة، ولا يختلطون إلا بالصالحين، ويكثر من الصدقات، وكانت منتشرة في وهران كثيراً².

¹ - صاحب الطريقة هو الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن الجبار الشاذلي. ينظر: عبد الحق شرف، الحسام المشرفي، ص 110.

² - سمية أولاد إبراهيم، "الثورات والتمردات في الجزائر أواخر العهد العثماني"، رسالة ماستر في التاريخ الحديث، إشراف الدكتور صالح بوساليم، جامعة غرداية، ص 55.

وقد ثارت ضد السلطة في بايلك الغرب بقيادة ابن الشريف الدرقاوي¹، وثارت في بايلك الشرق مع ابن الأحرش² العائد من مصر، والمساعد من قبل الزيوشي، مقدم الطريقة الرحمانية في شرق الجزائر، حاضية بدعم بعض القبائل، ومن الجهة الغربية بقيادة عبد القادر بن الشريف، فغطت عدة مناطق بالجزائر، مما أضعف الوجود العثماني وأسقطه في أعين الناس لمدة.

وكان المشرفون على الثورة رجال الدين وأصحاب المعاهد والزوايا، مما جعلهم مصدر خوف للعثمانيين، حيث استطاعت الطريقة الدرقاوية بالغرب الجزائري التوغل إلى أوساط القبائل المحالفة للحكم التركي، فأصبحت معادية له.

ولكن رغم أثرها الكبير، فقد فشلت هذه الثورة في تحقيق غاياتها، وكان من أسباب فشل هذه الثورة: سوء التخطيط بسبب سياسة التفرقة بين رجال الدين³، وانغلاق السكان على

¹ - ابن شريف الدرقاوي: هو الشيخ عبد القادر ابن الشيخ الدرقاوي، الفليني (1229-1815) مقدم الطريقة بالجزائر من أصول بربرية. ينظر:

- قدور بوجلال، "ثورة ابن الشريف الدرقاوي في بايلك الغرب 1805-1813"، مجلة العبر، الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد 04، العدد 02، سبتمبر 2021، ص 600.

² - ابن الأحرش: هو محمد بن عبد الله بن الأحرش، ملكي المذهب، درقاوي الطريقة، كان يدعي أنه المهدي المنتظر، ينظر:

- زينب جعني، "ثورة ابن الأحرش في بايلك الشرق"، عصور جديدة، مجلد 5، العدد 18، 2015، ص 133.

³ - يذكر العربي المشرفي أنّ الدرقاويين لما اشتدّ عليهم ضغط الأتراك، باشر الدرقاوي بالدعاء على الأتراك في كل صباح ومساء كما يلي: "اللهم يا ربّ أنزل على الشرك صاعقة تكون من عندك يراها كل أحد من خلقك لا من عندي أنا ولا من عند عبد القادر بن الشريف"، فكانت تلك الصاعقة هي الفرنسيين فانقطع بهم أثرهم كأنهم لم يملكو ساعة من النهار كما ذكرها في الذخيرة، نقلا عن: عبد الحق شرف، الحسام المشرفي، مرجع سابق، ص 73.

أنفسهم وعدم تجاوبهم بالقيام بالثورة ضد الأتراك، إضافة إلى جعل الثورة إقليمية، مما سهل على العثمانيين إخمادها في المنطقة الشرقية ثم الغربية¹.

ومن بين نتائج الثورة الدرقاوية:

- الخسائر البشرية، ويقول الزهار في هذا الصدد: "ومات من العرب عدد لا يحصى، وكانت تجتمع رؤوس بني آدم مثل الجبال"².

- عدم توفر الأمن والاستقرار نتيجة سوء التسيير وانعدام الكفاءة عند الحكام.

- تردي الأوضاع الاجتماعية والمعيشية عند السكان³.

وردت في كتابات المشرفي إشادة بها، حيث عبر عنها في إحدى مدونات بقوله في "نزهة الأبصار":

"ثار ولي الله تعالى سيدي عبد القادر بن شريف الدرقاوي الراشدي على دولة الأتراك بوهران، وكان جيشه من الحشم أهل الراشدية، وذلك لما انتشر ظلمهم وفسادهم في البلاد". ثم ألف مؤلفاً سماه: "درء الشقاوة عن السادات الدرقاوة"⁴.

ب. ثورة التيجاني.

تنسب إلى مؤسسها الشيخ أحمد التيجاني¹، وهي من أكثر الطرق الصوفية في الجزائر خصوصاً في عين ماضي، كما ألفت صداها في الصحراء كثيراً، ومن معالمها الدعوة إلى

¹ - حنفي هلايلي، أوراق في التاريخ الجزائري في العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر، 2008، ص 31.

² - الزهار أحمد الشريف، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر 1754-1830، تحقيق: توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 87.

³ - ينظر: بالطيب سمية، ثورة ابن الأحرش الدرقاوي 1804-1807، مذكرة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف محمادي محمد، جامعة غرداية، الجزائر، 2020-2021، ص 60-61.

⁴ - ذكرها في الذخيرة نقلاً عن عبد الحق شرف، الحسام المشرفي، مرجع سابق، ص 73.

الانخراط في الطريقة، والالتزام ببعض النوافل لإتمام الفرائض الشرعية، ومن بين شروطها: المداومة على الصلوات الخمس، واحترام العلماء والصالحين، وغيرها.

وقد عرفت التيجانية منذ نشأتها مضايقات من قبل الأتراك العثمانيين، بسبب تنامي مكانتها والحظوة التي كان يتمتع بها الشيخ أحمد التجاني وسط قبائل الصحراء الجزائرية، والتفاف جميع طوائف السكان حول طريقته، وهو ما جعل البايات في بايلك وهران بمحاولة التضييق عليه، كما أرسلوا حملات عسكرية على مدينة عين ماضي مركز التيجانية الرئيسي. وقد تكلفت هاته الضغوط، بمهاجرة التجاني إلى فاس بالمغرب في عام 1798م، وأمام اشتهاار الطريقة والمعاملة السيئة التي كان يتلقاها منتسبوها، وزيادة الضرائب عليهم، قام التجاني بثورة ضد الأتراك، والتي انتشرت، وذاعت ولكن تم قمعها في النهاية².

ج. الغزو الفرنسي والمقاومة الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر.

بسبب تدهور الأوضاع في الجزائر أواخر العهد العثماني، وضعف التسيير، والحالة الاجتماعية السيئة من المجاعة والفقر، استغلت فرنسا قضية الديون وما تبعها من ملابسات، لفرض حصار بحري منذ 1827³، ثم إرسال حملة غزو عسكرية على الجزائر بقيادة دي

¹ - أحمد التجاني: هو أحمد بن محمد بن المختار التجاني الشريف والتيجاني نسبة إلى قبيلة بن توجين التي استقرت في عين ماضي. للمزيد حول الشيخ التجاني، ينظر:

- محمد قراش، "الشيخ أحمد التجاني وحركة التفاعل الديني بين الجزائر وبلاد المغرب"، مجلة روافد للدراسات و الأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 6، العدد 1، 2022، ص ص. 568-590.

². للمزيد حول هذه الطريقة ينظر:

- حيمي عبد الحفيظ، "الطريقة التجانية في الجزائر وموقف السلطة العثمانية منها من خلال المصادر المحلية 1196 - 1242 هـ (1782-1826م)"، مجلة آفاق فكرية، المجلد 7، العدد 1، ص ص. 40-55.

³ - ناصر الدين سعيدوني، "الحصار البحري الفرنسي على السواحل الجزائرية 1827-1830"، مجلة الثقافة، العدد 28، 1395هـ/ 1975م، ص 11.

بورمون ودوبري سنة 1830م¹، لتتزل القوات الفرنسية في سيدي فرج بالجزائر، فظاهريًا، كانت فرنسا تدعي تأديب الداي، لكنها سرعان ما كشرت عن أنيابها بقتل وتشريد الجزائريين من أراضيهم، وتضليل الرأي العام بأنها دخلت لتتشر التحضر والتقدم لهذا البلد المتخلف². وقد صور العربي المشرفي دخول الفرنسيين إلى الجزائر قائلاً: "فأول قاعدة دخلها وقلع عرشها مدينة الجزائر، وكان دخوله لها 13 محرم سنة 1246هـ، بعد أن نزل بوادي سيدي فرج يوم 22 من ذي الحجة". كما بين صورًا لا إنسانية لما اقترفه الاحتلال من مجازر في حق الجزائريين، قائلاً: "وفي كل غزوة يبقره النصارى لعنهم الله، ويرمون حشوة بطونهم، ويرفعون الجثة..."³.

رفض أهل الجزائر الخضوع لفرنسا وظلمها ومجازرها اليومية، فظهرت عدة مقاومات وزعامات محلية ووطنية، كان أشهرها الأمير عبد القادر لما حمله من مشروع تأسيس للدولة الجزائرية الحديثة.

ببيع الأمير عبد القادر أميرًا على الجزائر بطلب من والده الشيخ محي الدين والقبائل، لتتم مبايعته ومساندته ضد الاستعمار الفرنسي. فأعلن الحرب عليهم وحقق كثيرًا من الانتصارات، مما أدى إلى توقيع معاهدة «ديميشال» في 27 فيفري 1834م، ومعاهدة التافنة 30 ماي 1837، فاستغل الأمير عبد القادر الفرصة وأسّس نواة جيش نظامي، حقق أولى انتصاراته في معركة المقطع سنة 1835م بعد نقض الفرنسيين لمعاهدة ديمشال.

¹ - أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، 1982، ص 33.

² - ينظر: عبد الحق شرف، الحسام المشرفي...، مرجع سابق، ص 76-77.

³ - ذكرها في طرس الأخبار، ص 165. نقلًا عن عبد الحق شرف، الحسام المشرفي، مرجع سابق، ص 79.

ولكن الفرنسيين لم يكونوا ليرضوا بتأسيس دولة جزائرية، فنقضوا معاهدة التافنة وشنوا حرباً شعواء قائمة على الإبادة والتهجير وسياسة الأرض المحروقة، وتضييق الخناق على الأمير عبد القادر وكل القبائل النائرة، وطردها لأبواب الصحراء، ثم إلى المغرب، وتأليب هذا الأخير على الأمير والضغط عليه، مما أدى إلى توقيعه اتفاقية سلام نقضتها فرنسا وسجنته بأمبواز، ثم نفته إلى سوريا حيث توفي فيها¹.

وكان العربي المشرفي مسجوناً بسبب التقائه بالأمير وتحرير الرسائل له، مما أغضب السلطان المغربي وجعلها مساساً بأمن الدولة. وظل المشرفي يكتب الرسائل التي تبرهن براءته للسلطان حتى أُفرج عنه، وكان خروجه مع نهاية مقاومة الأمير عبد القادر².

2. البيئة الاجتماعية والاقتصادية.

كما ذكرنا سابقاً، فإن الأوضاع السياسية لها آثارها على الوضع الاجتماعي على الخصوص، فشهد المجتمع الجزائري أثناء أواخر العهد العثماني وبداية عهد الاحتلال الفرنسي، حياة منقسمة بين سكان المدن وسكان الأرياف.

أ. سكان المدن: فنجد الأتراك المكونين من الجنود الإنكشارية وعائلاتهم وهم على المذهب الحنفي، ويتمتعون بامتيازات خاصة³، والكراغلة المولدين من الأتراك والأمهات

¹ - ينظر: عبد الحق شرف، الحسام المشرفي، ص 84.

² - جمال الدين مهلول، منهج أبو حامد العربي المشرفي في التأريخ الجزيري، مرجع سابق، ص 243.

³ - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومة للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2007، ص 356-357.

الجزائريات، وتمركزوا خاصة في المدن الكبرى¹، والحضر المكونين من مهاجري الأندلس والأشراف ومن المتنقلين قديما من الأرياف، وقد اشتغلوا بالتجارة والاستثمارات، مما جعلها طبقة برجوازية بالمدن الصغيرة². أما فئة البراني فهم السكان الأصليون الذين هاجروا من مدنهم للعمل، منهم البسكريون والأغواطيون وبنو ميزاب والقبائليون، ويشغلون في المهن البسيطة، منها التنظيف والبناء³، وفي آخر التراتبية نجد أهل الذمة من اليهود والنصارى، الذين كانوا قلة ولكن لهم شأن كبير في المبادلات التجارية والسمرة⁴.

ب. سكان الأرياف: ويتكونون من فئتين: قبائل المخزن الذين كانوا يتعاملون مع الأتراك مقابل فوائد مادية وإعفاءات ضريبية، وكانت ذات صبغة فلاحية وعسكرية. أما قبائل الرعية فهي قبائل خاضعة للأتراك، وتفرض عليها الضرائب، ولم تحظ بأي امتياز⁵.
كما شهدت الحياة الاجتماعية أواخر العهد العثماني، انتشار الأمراض والأوبئة والمجاعات والزلازل وغيرها، كما عبر عنها المشرفي قائلاً: "وفي عام الخمسين من هذا القرن ظهر الموت بالوباء، لكن بوجع القلب لا بالحبة المذكورة، والعجم الأطباء يسمونه بالريح الحمراء".

¹ - الجزائر - مستغانم - مليانة - مازونة - البليدة - القليعة - قسنطينة - عنابة - بسكرة. ينظر: عبد الحق شرف، العربي المشرفي حياته وآثاره، ص 42.

² - عبد الله شريط، الجزائر مرآة التاريخ، مكتبة البعث، ط1، قسنطينة، 1925، ص 147.

³ - ينظر: يعيدوني، الجزائر في التاريخ، ص 99.

⁴ - ينظر: بن فاطمة حليلة، تمهيد الجبال وما وراءها من الجبال وإصلاح حال السواحل والثغور، رسالة ماستر في التاريخ، إشراف: عبد الحق شرف، جامعة تيارت، ص 38.

⁵ - ينظر: عبد الحق شرف، العربي المشرفي حياته وآثاره، ص 43-44.

3. البيئة العلمية والثقافية.

شهدت مدينة معسكر الصدارة العلمية في نشر العلوم وانتشار الزوايا، وتولي أفرادها مناصب التدريس والإفتاء والقضاء، ومن أشهرهم الأسرة المشارفية، لتوفرها على مراكز العلم، حيث كانت **المساجد** مركزاً للعبادة والتعليم ومجمعاً للعباد والأعيان. أما الزوايا فقد كان من أهم أهدافها نشر الثقافة والعلم داخل المجتمع العسكري، وكانت تتألف من ثلاثة أقسام: الأول يقوم بوظيفة تحفيظ واستظهار القرآن الكريم، والثاني يقصده الغرباء الذين سبق لهم أن تعلموا الحروف الهجائية، والثالث يقوم بتدريس بعض العلوم المعروفة وقتها، مثل الفقهيات والنحو¹، ومن أشهر الزوايا: الزاوية الراشدية، والزاوية القادرية.

أما **المدرسة** فهي المكان المخصص لإلقاء الدروس، وكانت مدرسة مستقلة متخصصة في التعليم وحده²، وكانت تؤدي دورها في المدينة كما كانت الزوايا تؤديه في الريف، ومن أهم مدارس مدينة معسكر، نجد المدرسة المحمدية التي بناها محمد بن عثمان الكبير³، ومدرسة القيطنة التي تأسست بالقرب من منطقة بوحنيقية حوالي سنة 1787م، على يد محمد بن المختار، جد الأمير عبد القادر، وقد جمعت هذه المدرسة كل مراحل التعليم.

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 266.

² - المرجع نفسه، ج1، ص 281.

³ - محمد بن عثمان الكبير: هو محمد بن عثمان الكردي، كان خليفة على مليانة عني هذا الباي بالثقافة والمتقنين لذلك أسس المدارس للطلبة وهياً لهم جميع الوسائل. للمزيد حوله ينظر:

- بن عتو بلبروات، "الباي محمد الكبير، باي وهران 1779-1797 حياته، وسيرته"، مجلة عصور، مجلد 2، عدد 1، 2003، ص ص. 151-158.



الفصل الثالث:

الهجاء والاحتجاج في كتاب الحسام المشرفي.



يُعدّ كتاب الحسام المشرفي من أبرز المخطوطات التاريخية والمتواجدة في المغرب العربي التي تم دراستها، بالنظر لفترة كتابتها، وهو الذي ألفه العالم الجزائري العربي المشرفي للردّ على الشيخ الكنسوس المغربي، حول بعض المسائل التي رآها مغلوطة وأوردها الأخير في كتاباته. فكان رده قاسيا وعنيفا، استخدم فيه المشرفي أسلوب الهجاء والاحتجاج للتعبير عن موقفه الرافض إزاء العديد من المواضيع المطروحة من قبل خصمه، ورغم أسلوب الاستطراد الذي ميز كامل الكتاب إلا أن السمة التي ميزته كانت حضور النقد اللاذع لمن جعلهم هو هدفا لهجوه واحتجابه كما سنرى.

المبحث الأول: أنواع الهجاء والاحتجاج الواردة في كتاب الحسام المشرفي.

يبدو أن كتاب الحسام المشرفي ومنذ قراءة العنوان قد اقتحم وبشكل مباشر حقل الهجاء الموجه للشيخ الكنسوس¹، حيث ضم العنوان وصفه بالساب، وسيء الظن، والجعسوس الذي يعني قصير القامة والذميم في اللغة، والجعري حيث غيّر نسبه من "الجعري" إلى الجعري، كل هذا مع تسليط العقوبة التي يستحقها وهي قطع لسانه بالسيف. وفي كل هذا دليل على مدى السجالية التي كان يبرع فيها العربي المشرفي، خاصة أن له رسائل أخرى على نفس النمط.

وكما ورد في سبب تأليفه للكتاب، كان المشرفي يعتبر أن ما وقع فيه الشيخ الكنسوس التيجاني من تناول على الطريقة الدرقاوية، يسوجب الرد الفوري، وبيان ضلاله، وهو من قد

¹. أكنسوس (أو كنسوس . أو الكنسوسي) أبو عبد الله محمد بن أحمد. هو عالم وأديب ومؤرخ ورجل دولة مغربي، ينتسب إلى القبيلة البربرية "إيداو. أكنسوس"، التي تستقر في «بلاد السوس» جنوب المغرب. درس في جامع القرويين في «فاس» على أشهر علماء عصره. وأظهر نبوغاً وتفوقاً في علوم اللغة وبرع في النظم والنثر، ومهر الفقه والحساب، والمواقيت، واستهواه التاريخ. وانتظم في سلك الوظائف الإدارية كاتباً في الديوان. ولم يلبث أن ارتقى، وفي سن مبكرة إلى مرتبة وزير (عام 1236هـ/1820م). وقربه السلطان مولاي سليمان (1206 - 1238هـ/1791 - 1822م)، وكلفه مهمات عدة في تطوان، وسلا، والقصر الكبير، هدفها وضع حد للثورات والفتن التي اندلعت في عهده. وعند وفاة هذا السلطان، عزل من الوزارة، فانتقل إلى مراكش حيث انصرف إلى العبادة، والتصوف، والتأليف ولاسيما في ميدان التاريخ، وإلى نظم الشعر. وأصبح واحداً من شيوخ الطريقة التيجانية المشار إليهم بالبنان. وقد عمّر طويلاً، وأصيب بالعمى في أخريات حياته، وتوفي في مراكش. وقبره قائم اليوم، خارج باب الرب، ويزاره مريدو طريقتة، ويتبركون به.

وقد خلف وراءه إنتاجاً نثرياً وشعرياً، أهمه مؤلفه التاريخي المسمى «الجيش العزمي الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي»، وهو تاريخ عام للإسلام منذ انبثاقه حتى عصر مؤلفه. ينظر للمزيد: - الموقع الرسمي للموسوعة العربية:

- <https://arab-ency.com/sy/details/1693>. Consulté le 10-05-2026 à 14 :08.

تقدم لذلك: "ما بلغه بالسماع المستفيض عن تأليف عالم مراكشة الذي عير فيه أولياء الله ورماهم فيه بالزندقة والفاحشة..."¹.

لذلك سنحاول تقسيم مواضع الهجاء في الكتاب على حسب الموجهة إليه، والغرض منها، حيث نجد:

1. الهجاء من حيث المهجؤ.

أ. الهجاء الموجّه للكنسوس بذاته.

استفتح العربي المشرفي هجاءه للكنسوس، منذ مطلع المقدمة التي خصصها له، حيث أوماً لوصفه بصاحب الهوى المضل، وسيء الظن والمنافق، وهذا تأكيد لما ورد في العنوان، دون ذكر اسمه صراحة، وهو ما يفهم من السياق الرمي إلى تحقيره، حيث يقول: "الحمد لله مُحصي من خَلَق كثرة وقلة، خالق الخلق لا لغرض أو علة، باعث الرسل لتنشيت الأهواء المضلة، الذي زين قلب المؤمن وحلاه ببياض الإيمان وحسن الاعتقاد، وشين قلب المنافق وسوّده بسوء الظن والاعتقاد..."²، وهنا نرى بأنه قد عرض بالمصود من التأليف، وهو الكنسوسي، وأورد الهجاء عقب المدح ليكون أبلغ في التصوير، وأنكأ في التحقير، وهذا كما ذهب إليه -كما أشرنا سابقاً- قدامة بن جعفر.

¹. عبد الحق شرف، الحسام المشرفي، مرجع سابق، ص 135.

². المرجع نفسه، ص 135.

كما قد وسم المشرفي الكنسوسي بالكفر والزندقة والنفاق، لكونه قد تعدى خطوطا لم يكن مسموحا تعديها، كما بيّنه في قوله: "ولا يضر العبدَ إلا الكفر والإصرار على الزندقة والنفاق..."¹.

ثم دشّن المشرفي الهجاء الشخصي المباشر للكنسوسي، باستعمال أسلوب التحقير والتجهيل، و"هذا السوسي المدعو الكنسوسي..²، علما أن الشيخ الكنسوسي كان معروفا ومشهورا، وهذا بقطع النظر عن تلك المناصب التي تقلدها، والمكانة التي حظي بها لدى البلاط العلوي في المغرب.

ثم انتقل العربي المشرفي لوصفه بأوصاف يأنف منها العامة، فضلا عن العلماء والشيوخ، فقد وسمه بالحسود، والمتعصب الجهول، واللئيم، والرافضي الكتوم، وهذا في غير ما موضع من كتابه.

فبالنسبة للحسد، وهي الصفة التي كانت سائدة بين العلماء والشيوخ في كل المراحل، وبالخصوص في تلك الفترة، فقد أكدها المشرفي كثيرا وفي مواضع مختلفة، حيث يقول: "ألجم الحسد لسانه..."³، كناية عن عدم قدرته على النطق والشهادة بالحق عند ذكر الأشخاص، خاصة العلماء منهم، مضيفا على ذلك أن جعله في موضع آخر وريثا لإبليس بموجب ذلك، وفي هذا بلاغة وأي بلاغة، كون إبليس قد أدى به الحسد والكبر لرفض

¹. عبد الحق شرف، الحسام المشرفي، مرجع سابق، ص 135.

². المرجع نفسه، ص 136.

³. المرجع نفسه، ص 136.

السجود لآدم عليه السلام، وبالتالي إلى إباء تنفيذ أوامره تعالى¹، وهو ما أدى به إلى الكفر: "..وأداه ذلك لأن ورث الحسد من إبليس..."²، وهو ما أكدته المشرفي في موضع آخر: "..وكل هذا من حسد أرداه، وجفاء رفض كامن أبداه، والحسد أول ذنب عُصِيَ الله به في السموات والأرض..."³، وقد استطرد المشرفي كثيرا في هذا الموضوع.

أما بالنسبة للعصبية والتعصب، فقد أورد له فيها المشرفي ما يلي: "..وأطال على فرس العصبية سنانة..."⁴، وربما قصد بها هنا عصبية الدم وعصبية الطريقة، مبينا بطريقة غير مباشرة أنه يكره الأشراف ذوي النسب والولاية، ما أدى به إلى نبزهم والانتقاص من قدرهم، حيث يقول: "..لكن السلامة منه ومن سائر الخلق قضية في المحال مفروضة، وأعراض الأشراف لم تنزل بالسنّة اللئام مقروضة..."⁵.

كما يومئ المشرفي أنه مادام قد وقع في أعراضهم وهم أشراف فهو ليس إلا لئima، وهو ما أكدته في موضع آخر بقوله: "..ونفى الولاية عن فيه رائحة النبوة، ومن أصله منبت الوحي والمروءة..."⁶، وهذا قدح خطير في الكنسوسي بمفهوم ذلك الوقت، لأنه قد يفهم منه بشكل غير مباشر أنه ضد المنتسبين للأشراف من حكام المغرب، وهو ما لعب عليه المشرفي.

¹. كما ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيَّيَ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾، سورة ص/75، وقوله عز وجل أيضا: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾، سورة الأعراف/12.

². عبد الحق شرف، الحسام المشرفي، مرجع سابق، ص 137.

³. المرجع نفسه، ص 138.

⁴. المرجع نفسه، ص 136.

⁵. المرجع نفسه، ص 136.

⁶. المرجع نفسه، ص 137.

وقد صرح المشرفي بوصفه باللؤم أيضا فيما ورد سابقا، حين قال: "ولا شك أن الكريم حليته الغض، واللئيم العض..."، أي أن الكريم يغض الطرف عما يراه من عيوب، واللئيم يترصدها إن وجدت، أو يختلقها ويضخمها ويبلغ بها الآفاق، ويجعلها مادة يشد عليها¹. من جهة أخرى، لم يقف العربي المشرفي عند ذلك، فقد واصل هجاءه له، واصفا إياه بالغفلة، وعدم التوفيق، والجنون، وقد أجملها كلها في العبارة التالية: "إن الفقيه الكنسوسي ممن غرق في بحر الغفلة، وعُرِّي عن التوفيق جملة، واحتوشته جيوش الحس، وصار كالذي يتخبطه الشيطان من المس، كلما أمهل يوما ازداد غفلة، ونسي ما أحدث في اليوم قبله، هذا هو ديدنه وحاله ومحاله..."²، وهو هنا قد بين بأن هذا الأمر من الغفلة قد أصبح ملازما للكنسوسي، وهذا ما يجعل من المستبعد حسبه أن ترجى له "توبة"، أو أن يعدل عن ذلك فتكون له أوبة.

ثم أضاف أوصافا أخرى له، كجمود القريحة، وضعف الفكر والاعتقاد بالله، وانكشاف أمره بالفضيحة، والكذب في النقل وعدم الأمانة العلمية، وما لذلك على من اتصف به من انحطاط، حين يقول: "لكنه جامد القريحة، وسوء اعتقاده مع الله ضمّنه مع الله ومع عباده صريح الفضيحة، حيث ختم في أساطير التاريخ بما كذب فيه على أزهار الشماريخ..."³،

¹. عبد الحق شرف، الحسام المشرفي، مرجع سابق، ص 136.

². المرجع نفسه، ص 136.

³. المرجع نفسه، ص 136-137.

وهو هنا يقصد ما كتبه الكنسوسي في كتابه الجيش العرمم الخماسي¹، أما بالنسبة لكتاب زهر الشمايخ في علم التاريخ فالمقصود به على الأرجح لأبي راس الناصري المعسكري². وهكذا يسير المشرفي في تناول الكنسوسي بالهجاء والسخرية والانتقاص وتقليل القدر، بل أحيانا نجده يتطرف في ذلك ويشدد عليه كثيرا، حيث ينتقل من وصفه بالجفاء والفضاضة في قوله "...ومن جفائه وفضاضته أن رمى بالجهل عالم الدنيا في النوزال..."³، إلى الإيحاء بشبهه بالشيطان بلا تصريح، حيث يقول: "...فقد عرّض والله نفسه للقذف حتى رماه الناس بأكبر من حصى الخزف..."⁴، وهذا تكنية عن تشبيهه بالشيطان المرجوم في الحج الأكبر، وبالحصى الكبيرة وليس الصغيرة منها.

وهكذا يسير العربي المشرفي في الحمل على الكنسوسي بكل قوة، وهو ما لا يمكننا الإحاطة به، لتعدد الأوصاف والنعوت القاذحة التي وسمه بها، فمن وصفه بالشقاوة نتيجة لاستعماله القلم فيما لا يرضي الله، خاصة طعنه في أهل الله حسب المشرفي⁵، إلى وسمه

¹. ينظر هذا الكتاب في: محمد بن أحمد أكنسوس، الجيش العرمم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، تحقيق وتعليق أحمد بن يوسف الكنسوسي، د.ط، بلا، 1994.

². وفي الحقيقة فإننا لا ندري هنا هل يقصد كتاب أبي راس الناصري، أم كتاب الامام السيوطي، وعنوانهما على التوالي قد ضم كلمة الشمايخ:

- أبو راس الناصري، زهر الشمايخ في علم التاريخ، تحقيق بن عمر حمدادو، منشورات مركز البحث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 2016.

- الأمام جلال الدين السيوطي، الشمايخ في علم التاريخ، تعليق عبد الرحمن حسن محمود، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ت.

³. عبد الحق شرف، الحسام المشرفي، مرجع سابق، ص 137.

⁴. المرجع نفسه، ص 138.

⁵. المرجع نفسه، ص 139.

بأنه يستحق دخول ماهو أكثر من النار، وأنه من أصحاب السلب بعد العطاء الذي هو أقبح من دخول النار¹.

على أن ما كان أكثر هجاء له، هو ما عيَّره به من التسفيه والتهيه بعد كبر سنه، وتغير حاله وارتداده بعد الكبر، حيث يقول: "لازال قاضي الهوى، وشيخ المجون، يتغزل في مهفهم الخصر²، البكر منه والحيزيون، وفي الفتيات والفتيان، كي يهيج الشهوة ويلذذ المعاصي لمريد الإتيان..."³، وقد ضرب ببيت من الشعر المثل له:

أثقل من رضوى وراح *** شيخ تصابى وصبي قد تشاخ.

وهو مثل بليغ في الهجاء، لالتقاء الوصف فيه بضده.

على أن أقذع ما وصفه به كان العبارة التالية: "ويحه ذهب منه الأطيبان، وبقي فيه الأطينان، وهو عاكف على سماع الوتر، وحسو الشهوة الإثائية التي نسخت بنت الدنان..."⁴، وهو نعت له بكون الدنيا قد أعرضت عنه صحة وشبابا، وهو لزال يريدتها رغم بلوغه من الكبر عتيا، وكان أقذع منه ما وصف به ريحه، التي قارنها بريح خبيثة، شبهها بريح الكلب في قوله:

¹ - عبد الحق شرف، الحسام المشرفي، مرجع سابق، ص 140.

² - وهو هنا يقصد ما صدر به الشيخ الكنسوسي كتابه الجواب المسكت في الرد على من تكلم عن الشيخ التيجاني بلا تثبت، وهو رد على لشيخ البكاي، حيث ورد فيها القصيدة التالية التي مطلعها:

دعت بعدما أبدى مباسمه الفجر *** وزال عن الإشراف من ليله الحجر
مفهمه يسبي العقول جمالها *** أفي لحظها سحر بلى إنه السحر

ينظر:

- سيدي محمد بن أحمد الكنسوس، الجواب المسكت في الرد على من تكلم عن الشيخ التيجاني بلا تثبت، بدون، بلا، ص 11.

³ - عبد الحق شرف، الحسام المشرفي، المرجع السابق، ص 152.

⁴ - المرجع نفسه، ص 152.

"..فهو كمجالدٍ المقول فيه¹:

نكَّهتُ مجالدا فشمت فيه *** كريح الكلب مات حديث عهد...².

وفي هذا سخرية وتعبير ثقيل استخدم فيه المشرفي الأمثال العربية المشهورة لزيادة تأثيره.

على أن العربي المشرفي يبدو أنه لم يتضلع بعد من هجاء الكنسوسي كشخص، ورأى أنه يستحق أكثر من ذلك، كلما حاول الإشراف إلى نهاية، حيث قال: "ولا أكتفي بما ذكرت في طالعة كتابي هذا من إفراده بترجمة لؤمه والتسفيه...³، وهذا لا لشيء إلا لأنه قد اعتبر أن القيام بذلك هو واجب شرعي تجاه من وصفه بالمتجاسر على الأولياء: "وهذا المتجاسر على أولياء الله وعلماء الشريعة، إن استصغر كلامي فسيرى من علماء هذه الحضرة التي سب ابن نبيها، الياقوت الأحمر مولانا إدريس الأكبر، ما يحزنه نظما ونثرا...⁴.

وهنا، نجد أن العربي المشرفي قد أبدى الكنسوسي في شكل المتهم على حرمة الأموات، لا في شكل المخالف المستساغ خلافه، أو في إطار سجال علمي بحث، بل نراه متحمسا زيادة للرد عليه، وهذا حين يقول: "ابتلاهم الله بالكنسوسي السوسي وهم في قبورهم منذ أعصار رمم...⁵، كما أبداه أيضا في ثوب المتجني المحروم من رحمة الله، في قوله:

¹ - هذا البيت هو للحكم بن العدل على ما يبدو، لكن ورد في مقامات الحريري دون نسبة:

-أبو عباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي، شرح مقامات الحريري، دار الكتب العلمية، ط 2، بيروت، 2006، المجلد 1، ص 209.

² - عبد الحق شرف، الحسام المشرفي، المرجع السابق، ص 153.

³ - المرجع نفسه، ص 153.

⁴ - المرجع نفسه، ص 157.

⁵ - المرجع نفسه، ص 159.

"..طبع الله على قلب هذا المُبْعَد عن رحمة الله، حجبته عن إدراك نور الله في أوليائه، وطمس بصيرته واستولى عليه الحسد، وتكلم في سبهم في كتابه بالقصد..."¹.

في هذا الإطار، يبرز لنا المشرفي الكنسوسي، بكونه قليل البضاعة في العلم والتأليف، حيث "...ليست له ملكة يقتدر بها على التصنيف فهو فيها أعيا من باقل"²، والحافظ أولى من الناقل، ولكن الأيام قدمت فيها بغير استحقاق، وآذنت بأن الحر يقدمه ذو استرقاق..."³، وهو في هذا كان شديدا على الكنسوسي في هجائه، حيث وسمه بالعبودية، وبأنه لم يكن قط أهلا للتولية والتقديم، ولولا صروف الدهر وتقلباته، ماكان له منها نصيب وحظ، وهذا من أعظم الهجاء.

ولعل ما سبق لنا أن قدمناه من هجاء، لم يكن سوى في مقدمة الكتاب فقط، فقد أورد العربي المشرفي أنه سيخصص ترجمة (فصلا) "...تتضمن القدح فيه ليتقطن لعيبه كل نبيه..."⁴.

أما بخصوص هاته الترجمة التي خصصها له المشرفي، فقد صدرها بالعبارة التالية:

¹ - عبد الحق شرف، الحسام المشرفي..، المرجع السابق، ص 160.

² - يضرب هذا المثل عندما يراد التعبير عن البلادة والغباء، وباقل هذا هو رجل رجل من إباد اشترى ضيبا، فلما مر يقوم وسأله بكم اشتراه، رفع يديه ودلع لسانا يريد أحد عشر درهما، فشرذ الطبي وكان تحت إبطه، وفيه قيل: من باقل أعيا ومن يد ترى *** في رحم حسب الذي تقررا. ينظر:

- ابراهيم السيد بن علي الطرابلسي، فرائد اللال في مجمع الأمثال، نظارة المعارف الجليلة، مطبعة المعارف الكاثوليكية، 1312 هـ، ص 36.

- أبو عباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي، شرح مقامات الحريري، دار الكتب العلمية، ط 2، بيروت، 2006، المجلد 1، ص 209.

³ - المرجع نفسه، ص 164.

⁴ - المرجع نفسه، ص 165.

"..إن الفقيه الكنسوسي ممن صدره قلمه للكتابة، فال الأمر إلى رقم عييه وعتابه، ووشى به رايات تخفق على رأسه بالفضيحة، وتشير مساوئه وشنائه القبيحة، نشر من سريرته ما طواه الزمن الماضي، وأفشاه لعدول الحفظة فحكم به القاضي، وما رأينا من خطب بين العشيرة، وقرر ما انطوت عليه السريرة، وقال: عباد الله جنيت على نفسي بلساني، وأنا مريد للشيخ التيجاني، كنتم تظنون أنني كالقرني أويس¹، فإذا أنا أشأم من طويس²...³."

ولكثرة ما تضمنه من هجاء وقدح فيه، سنذكر هنا فقط نُتقاً مما تبقى من الكتاب، حيث وصف فيه الكنسوسي:

- بأنه كؤود في طبعه، ودواؤه السب والشتم، يذكر بالغالط كما أورده المشرفي في شعره، يقول:

يا أيها الرجل المهدي صواديه *** أبصر طريقك لا يطمح بك البصر.

¹. أويس بن عامر القرني من اليمن، أسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه رحمه الله لم يستطع أن يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم مع وفد اليمن؛ لأنه كان مشغولاً ببره لأمه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقه: (إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ، وَلَهُ وَالِدَةٌ، وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَعْفِرْ لَكُمْ)، والحديث رواه مسلم بروايات متعددة، ينظر:

-أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الصحيح،المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1955، كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم 2542 .

². طويس هذا كان بالمدينة، ويضرب به المثل في الشؤم، لكون ولد في الليلة التي توفي فيها النبي صلى الله عليه وسلم، وفطم في يوم وفاة أبي بكر رضي الله عنه، وتزوج في يوم استشهاد عثمان رضي الله عنه، وولد له في يوم استشهاد علي رضي الله عنه، في مصادفات أخرى كثيرة، ينظر للمزيد:

-محمد بن موسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، 1857، ج 2، ص 128.

³- عبد الحق شرف، الحسام المشرفي..، المرجع السابق، ص 187.

- أنه عنيد لا يتقبل نصيحة الشيخ أحمد البكاي له، وتنبهه على الاستيقاظ من الغفلة قبل فوات الأوان. لقول المشرفي: "ولعلك أيها الكنسوسي تتلاقى بأخينا ومريدنا الفقيه عبد الله الفاطمي، ممن له علم وفقه، تتعلم منه"¹.
- أنه خبيث الطبع، مكر النفس، يخطط لإيذاء الناس. لقوله: هو كالشيطان كائد النفساني، نعوذ بالله منه، وفي هجوه يقول الأديب المكناسي في قصيدته، مطلعها:
- ونمنم رايات النفاق بعكس ما *** عليهم الطوى من بعض دمر وحاجب
فشنّ على من عز بالله جاههم *** إغاره من رام انتشار الكواكب².
- أنه جاحد فضائل أهل الله، عدوّاً لنفسه، مكروه بسبب أقواله³.
- كما أن العربي المشرفي قد نظم قصيدة في هذا الكتاب في الرد على ما قاله الكنسوسي، وكان غالبها دفاعاً عن مشايخ الطرق الصوفية الدرقاوي وغيره، ولكن وردت فيها هذه الأبيات التي يخص الكنسوسي تعييناً، حيث وصفه بالحدود، ومنكر الفضائل، وسيء الاعتقاد، وأعشى البصيرة ومطموسها، وغير ذلك من الأوصاف:
- قل للذي ينكر المحسوس ويحك من *** يدرك شأؤ ابن صالح ومعناه
قل للحدود ومنكر الفضائل قل *** ما أنت أول جاحد قد أرداه
سوء اعتقاده في الأشراف فاشتبهت له *** الأباطيل حال البغض أعياء
أعشى البصيرة شر الناس من قصرت *** في الله همته والكيد أصماه

¹ - العربي المشرفي، الحسام المشرفي، المرجع السابق، ص 209.

² - العربي المشرفي، الحسام المشرفي، المرجع السابق، ص 242.

³ - المرجع نفسه، ص 299.

ما أنت أول منكر وقد طمست *** له البصيرة والشيطان أغواه

بئس القرين قرينكم فما سلمت *** أحوالكم والشقي رب أخزاه

فتحت فاك بما أشقاك فافتضحت *** لك السريرة أمر السب أشقاه¹.

وهذا فقط غيض من فيض، ولعل ما نختم به هذا المبحث هو ما أورده المشرفي من دعوة لهجر الكنسوسي، حيث قال: ".فواجب على معشر المسلمين أن يهجروه ويأمروا بهجرانه، ويسطر العلماء في الدفاتر هجرانه، ويأخذ مؤلفه معه قسطه، زيادة على ما له هنا فيه، ويشكل حروفه، وينبه على نكتة تلك النقطة، وينشد في السفية ما قيل فيه:

"ولقد قتلتك بالهجاء فلم تمت *** إن الكلاب طويلة الأعمار"².

2. الهجاء الموجّه لنسب الكنسوس وقبيلته ومدينته.

وجّه المشرفي هجائه للطعن في نسب الفقيه الكنسوسي، واحتقاره له ولأصله وقبيلته، حيث يقول: ".أما نسبه الطيني فالبعض ينسبه إلى قبيلة بربرية تُدعى إدوا كنسوس، كما في مكؤلفنا نزهة الأبصار، وانتسابه بقلمه للجعفري. قال بعضهم أظنه والله أعلم تصحيفا بقلم أو تحريفا..."، ثم يضيف هاجيا له: ".ولعله ينتسب للتلعفري، المهجو بقول من لا يعترف له بالفضل: ياشاعرا بشعوره لم يشعر *** ما كنت أول طالب لم يظفر

لو كنت تعرف والدا تسمو به *** لم تنتسب ضعة إلى تلعفر³.

¹. العربي المشرفي، الحسام المشرفي، المرجع السابق، ص 245.

². المرجع نفسه، ص 300.

³. المرجع نفسه، ص 197.

وقيل فيه أيضا:

"سما التلعفري إلى وصال *** ونفس الكلب تكبر عن وصاله

ينافي خلقه خلقي وتأبى *** فعالي أن تضاف إلى فعاله

ولم يكتف بهذا بل شبّهه أيضًا بطائر العقاب مجهول الأب، لقوله:

"ما أنت إلا كالعقاب فأمه *** معروفة وله الأب مجهول"¹.

أما القبيلة فقد أشبعها هجاء في كتابه نزهة الأبصار حيث قال: "وأقبح المواضع المسكونة بهذا الخط المعمور إدوا كنسوس و إدواز كري، فأرضهم رقيقة فارغة من أوعار الجبال، لها شبه بأرض الصحراء، ذات شيح وفجاج ريح، أعظم كسبهم الضأن والمعز، وجل نبتهم القيصوم والزقوم وشوك السعدان، وغالب طباعهم مركبة من طباع جيرانهم إيلالة، كونهم لا يقرون ضيفا، ومنذ خلقهم الله لم يسلاوا والله أعلم في الجهاد سيفا..."².

أما الهجاء الموجه لمدينة الكنسوسي، فيلجأ المشرفي في الهجاء بطريقة غير مباشرة، من خلال ربطه بمكان إقامته، إذ يقول: "نزيل حمراء مراكش، لأنها كانت مغارة تأوي إليها اللصوص"³، فشبهها بالمكان الذي يأوي اللصوص لخطرهما والفساد الذي فيها، فسعى المشرفي لتشويه صورة الكنسوس من خلال التعريض بالمدينة.

¹. العربي المشرفي، الحسام المشرفي، المرجع السابق، ص 197 - 198.

². العربي المشرفي، نزهة الأبصار، ص 307-308، نقلا عن: الحسام المشرفي، المرجع السابق، ص 197.

³ - المرجع نفسه، ص 187.

3. الهجاء الموجّه لطريقة الكنسوس الصوفية.

لم يتوقف العربي المشرفي عند هجاء الكنسوسي فقط، بل وجه سهام القدح في الطريقة التيجانية، ولو بشكل دبلوماسي، حيث أفصح أن هذه الطريقة تفتقد للأصل، ولا نسب علمي لها، حيث يقول: "...وأما نسبه الديني فإن طريقته عارية منه والله أعلم، إذ لم يذكر أهل التحقيق لطريقته نسبا، فهو فيها مقطوع النسب، إذ ليس لشيخه شيخ، فصار كالعقاب التي هي من جنس الطيور، يسافدها الثعلب وهو من جنس المواشي، ولذلك تهجو العرب مقطوع النسب بها، قال شاعرهم:

ما أنت إلا كالعقاب فأمه *** معروفة وله أب مجهول¹.

أما تطرقه للشيخ التيجاني، فذكره بأنه شيخ علم لا شيخ تربية، عكس شيخ طريقته الدرقاوية، وحكى الإجماع على ذلك من معاصريه: "...وشيوخه مذكور بالعلم لا بشيخ التربية، وبهذا انعقد إجماع معاصريه، كما انعقد إجماع أهل العصر على أن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي شيخ تربية، وله في التصوف الباعه الذي يدرك..."².

وكأنه يريد أن يقول شيئا لا يفصح عنه مخافة الوقوع في الشيخ التيجاني، ولكنه يدندن حوله بالاستطراد والالتفاف، يمكننا تمييز ذلك من خلال قوله: "...فالشيخ أحمد التيجاني رضي الله عنه في عالم الظاهر شيء كبير، وهو سيد هذه الطائفة التيجانية، معدود من

¹. العربي المشرفي، الحسام المشرفي، المرجع السابق، ص 198.

². العربي المشرفي، الحسام المشرفي، المرجع السابق، ص 197 - 198.

علماء الظاهر، لا من علماء الباطن، إذ ليس له سند في علم الحقيقة، وهو مطلوب حتى في علوم الشريعة...¹.

ويضيف في موضع آخر، ما يلي: ".والتيجاني في العلم أزهر بستان جنانه ولم يثمر، أي لم تظهر نتيجة في واحد من مريديه، في حياته وبعد مماته، وإن كثروا وانتشر عددهم، فطريقته طريقة تترك، وحجة مريديه يوم القيامة ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾، فهو شجرة نبتت بنفسها، إذ لو استتبتت لأثمرت، قال الإمام الدقاق رضي الله عنه: الشجرة إذا أنبتت بنفسها لا تثمر، وإن أثمرت لا تتم ولا يتم نتائجها، انظر ما قتله الكلب المعلم، كيف جاز أكله، يا معشر المريدين من لم ير مفلحاً لم يفلح...". وهنا الكلام مبناه على الشيخ التيجاني، ومعناه على الكنسوسي الذي ليس بثمرة عالم، ولن يكونها لأنه ينتسب لهذه الطريقة التي تفتقد للشيخ حسبه، وهذا كلام خطير في مقام التصوف، وهو نفي السند والمشیخة عن الشيخ وعن المريد أو التابع².

وهذا يؤكد في مقام آخر، حيث يقول: ".وهذا الشيخ التيجاني مسلم له في الظاهر، عاجز عن هذه الأوصاف..."، ليتم تصريحه عن الكنسوسي هاجياً إياه بالبيت التالي:

وتلميذ العاجز عاجز *** والمرء في ميزان أتباعه³.

¹. العربي المشرفي، الحسام المشرفي، المرجع السابق، ص 204.

². المرجع نفسه، ص 205.

³. المرجع نفسه، ص 206.

وبالتالي فملخص ما ذهب إليه المشرفي في هجاء طريقة الكنسوسي هو أن طريقته عارية ليس لها شيخ، وليست مأذونة، فقد تظاهر بالعلم ويدّعي أنه ينتمي إلى الطريقة التيجانية. كما ان الكنسوسي خالف شيخه أحمد التيجاني في كل ما جاء به، فكانت ناصيته بيد الشيطان، وأنها ليست طريقة بل ورد، وليس له شيخ، فكانت هذه الطريقة لعباً ورقصاً وهجراناً لأولياء الله، كما أورده الشيخ البكاي عنها. وأيضاً، التيجاني ليس من أهل التربية، بل كان من أهل الصلاح، وانتسابه له جهل.

ولهذا نجد أن العرب المشرفي يهاجمه لأنه هاجم الأشاعرة، والمتصوفة الدرقاوية، وزاوية أبي الجعد، كل هذا في هجاء وقدخ طويل له¹.

المبحث الثاني: أساليب الهجاء الواردة في كتاب الحسام المشرفي.

أ. من حيث الأسلوب الهجاء .

اللغة: هي أداة للتعبير عن تجاربه الشعورية وعواطفه الخاصة، وكانت لغة المشرفي الهجائية بسيطة غير متكلفة، ذات ألفاظ جزلة وقوة وانفعال في التعبير، كإبراز العيوب والحد من خصمه، وتميز بالأسلوب الاستطرادي الوصفي السرد في نقل الأحداث، من خلال المزج بين الصور البيانية والمحسنات البديعية لإضفاء الجمال لموضوعاته.

أ- استخدام الاقتباس والتضمين: وهو إتيان المتكلم في كلامه المنظوم أو المنثور من غيره

أو من القرآن الكريم.¹

¹ - عبد الحق شرف، الحسام المشرفي، المرجع نفسه، ص 191 وما يليها.

فضمن المشرفي كلامه باقتباس من القرآن الكريم، خاصة سورة البقرة، لقوله: (لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس)².

ب. استخدام الصور البيانية: اعتمد العربي المشرفي على صور بيانية متنوعة، أبرزها التشبيه والاستعارة والكناية والمحسنات البديعية، لتقوية المعنى وإبراز غرض الهجاء.

ج. الاستعارة: لجأ في توظيف الاستعارة في هجائه، من ذلك قوله: إن الفقيه الكنسوسي غرق في بحر الغفلة. شبه المشرفي الغفلة بالبحر، والكنسوس بالشخص الذي يغرق في هذا البحر، وحذف المشبه به البحر وترك ما يدل عليه، فعل غرق، على سبيل الاستعارة المكنية، لتقديم صورة الضلال والجهل.

كما قال: "مزق بسهم لسانه الفؤاد".

يشبه لسانه بالسهم الذي يمزق القلوب، وحذف المشبه به السهم، وترك شيئاً من لوازمه «مزق»، على سبيل الاستعارة، مصوراً أذى الكنسوسي.

د. الكناية: أحد الأساليب غير المباشرة التي استخدمها المشرفي في هجائه للكنسوس، في قوله:

- «اعتزل السنة»، كناية عن الانحراف عن الدين، واتباع البدع³

- "يقف على أبواب الخيرات"، كناية عن التصنع والنفاق.

¹ - الأب لويس شيخو اليسوكي، علم الأدب، الجزء الأول في علم الإنشاء والعروض، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1886، ص 123.

² - العربي المشرفي، الحسام المشرفي، ص 136.

³ - العربي المشرفي، الحسام المشرفي، ص 187.

هـ. التشبيه: عند أهل البيان هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى، على غير وجه

الاستعارة. قوله: «لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان»، شبه المشرفي

الكنسوس في فساد و ضلاله بحال الإنسان الذي يتخبطه الشيطان، وهذا تشبيه تمثيلي.

«أشأم من طويس» تشبيه بليغ¹.

و. المحسنات البديعية: من بينها

* السجع: أن تتفق الفاصلتان في الوزن وتتفقا في الحرف الأخير²، كقول المشرفي:

"إن الكريم حليته الغيظ، واللئيم حرفته العظم، للعقل نومه، وللهم غفلة، وللعبد زلة".

* المطابقة: هي الجمع بين ضدين، كقول المشرفي: "من اتبع علمه قلّ إنكارهم، ومن

قلّ علمه كثر إنكاره". "صنعتي لطيفة في لساني، وصنعتي الخسيسة".

* المقابلة: هي التنظير بين شيئين فأكثر، وبين ما يخالف وما يوافق³، "ذهب منه

الأطيان وبقي منه الأطيان". "الساكت عن الحق كالمتكلم بالباطل، وكاتم الشهادة كالشاهد

بالزور، ومحرم الحلال كمحرم الحرام"⁴.

2. من حيث الأغراض:

أ. الاستطراد: وهو أن يخرج المتكلم من غرض إلى آخر، فيتوهم أنه يستمر في المعنى

وينتقل إلى معنى آخر. هكذا فعل العربي المشرفي من خلال هجائه ووصفه للفقير

¹ - المرجع نفسه، ص 187

² - الأب لويس شيخو اليسوعي، علم الأدب، ص 116.

³ - الشيخ تقي الدين أبي بكر، خزانة الأدب وغاية الأرب، ص 57

⁴ - العربي المشرفي، الحسام المشرفي، ص 194.

الكنسوسي بأنه منحرف وفاضل للمجون، ثم انتقل إلى طعنه في أولياء الله، لقوله: "لا شيء أعظم من الكلام في السادات الأبرار الصالحين الناسكين الأخيار"¹.

ب. **الافتتان**: وهو ما تميز به العربي المشرفي، من خلال المزج بين غرضين شعريين مختلفين، مرة كان بالمدح للدولة العلوية وسلطينها، ومرة يصف أوضاع تلك الفترة، ومرة يرجع إلى هدف كلامه، وهو هجاء الكنسوس، وجمع بين كل هذه الأغراض وتفنن في توظيفها².

ت. **التنقص**: يعتبر روح الهجاء بذكر عيوب المهجو، حيث شبه العربي المشرفي الكنسوسي بطويس، وذكر عيوبه الخلقية، حيث قال إنه مفرط في طوله، مضطرب في خلقه، أحول العين³.

ث. **التهكم والسخرية**: فهما أداتان استخدمهما المشرفي في التقليل من شأن الكنسوس، من خلال قوله: "إنه طيني النسب، ليس له أصل ولا دين"⁴.

¹ - العربي المشرفي، الحسام المشرفي، المرجع السابق، ص 187.

² - الشيخ تقي الدين أبي بكر، خزانة الأدب وغاية الأرب، ص 70.

³ - العربي المشرفي، الحسام المشرفي، المرجع السابق، ص 189.

⁴ - المرجع نفسه، ص 197.



الخاتمة



يعدّ أدب الهجاء والاحتجاج أحد أهمّ الفنون الأدبية التي ازدهرت خلال مختلف عصور الأدب العربي، وقد تأثر بالخصوص بالأوضاع الاجتماعية، والظواهر السلوكية، والتنافس بين مختلف الأفراد والقبائل والجماعات. أما في العصر الحديث فقد كان عاكسا لتقلبات الحياة السياسية والثقافية والدينية، وتأثر بمختلف النكبات التي عاشها العالم الإسلامي سائدة.

ويعتبر العربي المشرفي بحق، أحد أعلام هذا الفنّ في الجزائر، لغزارة تأليفه في هذا الفنّ السجالي، بالنظر لكثرة المؤلفات في الرّدود والانتصارات على المخالفين له والمختلفين معه ومع طريقتة الصوفية، والتي كان كتاب الحسام المشرفي أحد أهمّ كتاباته والتي عكست بعمق ما وصل إليه هذا الفنّ.

ولم يقتصر الهجاء على شخص المخالف فقط، بل تعداه ليشمل خلاله وحياته ونسبه وقبيلته ومدينته وطريقته ومذهبه وتآليفه وغير ذلك، حيث كانت كلها موضعا للقدح والتحقير والسخرية والانتقاص بما يفيد الهجاء العام، ويكس الاحتجاج على مواقفهم المتبناة.

واختلفت الأساليب المنتهجة فيه بين أسلوب مباشر صريح، وأسلوب غير مباشر معرض ومضمن، عكس إحاطة العربي المشرفي بالأمثال وشعر العرب ومقاماتهم وحكمهم، فضلا عما تضمنته كتبهم الفقهية والدينية.

أما بخصوص الشعر الذي تضمنه الكتاب، فقد كشف فيه العربي المشرفي في بعض القصائد والأبيات من نظمه، عن قدراته الشعرية، والتي كانت مصبوغة بمستوى ذلك العهد، والتي في الحقيقة لم ترق إلى ما نثره من كلام.

ويمكن أن يشكل هذا المجال موضوعا للبحث في كتب أخرى للمشرفي، باعتباره قد أثرى المكتبة العربية في هذا النوع من الكتابة الهجائية والتألف السجالي.



قائمة المصادر والمراجع



• القرآن الكريم.

• الحديث النبوي: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري،

الصحيح، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه،

القاهرة، 1955.

• الكتب والمقالات.

1. ابن حجة الحموي (الشيخ تقي الدين أبي بكر)، خزانة الأدب وغاية الأرب،

لمطبعة الخيرية، مصر، 1314هـ.

2. ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر، المجلد 1.

3. أولاد إبراهيم (سمية)، الثورات والتمردات في الجزائر أواخر العهد العثماني، رسالة

ماستر في التاريخ الحديث، إشراف الدكتور صالح بوساليم، جامعة غرداية.

4. بالطيب (سمية)، ثورة ابن الأحرش الدرقاوي 1804-1807، مذكرة الماستر في

التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف محادي محمد، جامعة غرداية، الجزائر، 2020-

2021.

5. البقالي (هشام)، "مساهمة العربي المشرفي في الحياة الفكرية لمغرب القرن 19،

دراسة بيبليوغرافية، دورية كان التاريخية السنة الثالثة عشرة، العدد 48، جويلية 2020.

6. بلهي (نبيل)، "مسند المغرب الأوسط عبد القادر سقاط المشرفي المعسكري

(1280هـ) حياته وإجازاته، مجلة المنهل، المجلد 08، العدد 02، 2022.

7. بن إبراهيم (عباس)، الأعلام بمن حل بمراكش وأغمت من الأعلام، ج9، المغرب، الطبعة الملكية، 1999.
8. بن فاطمة (حليمة)، تمهيد الجبال وما وراءها من الجبال وإصلاح حال السواحل والثغور، رسالة ماستر في التاريخ، إشراف: عبد الحق شرف، جامعة تيارت.
9. بوجلال (قدور)، "إسهامات الشيخ عبد القادر المشرفي في الحفاظ على وحدة إيالة الجزائر أمام الخطر الإسباني"، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 29، رمضان 1437، جوان 2016
10. بوجلال (قدور)، "ثورة ابن الشريف الدرقاوي في بايلك الغرب 1805 - 1813"، مجلة العبر، الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد 04، العدد 02، سبتمبر 2021.
11. التسماني (عبد العزيز)، حرب تيطوان خلال الأجوبة الفقهية، جواب أحمد المرنيسي نموذجاً، كلية الآداب، الرباط.
12. جاد الحق (أحمد محمد)، "شعر الاحتجاج في الأدب الرقمي الإيراني"، احتجاجات سبتمبر 2022 نموذجاً، مجلة كلية الآداب، جامعة بور سعيد، العدد 25، جوان 2022.
13. الجعني (زينب)، "ثورة ابن الأحرش في بايلك الشرق"، عصور جديدة، العدد 18، 2015، ص ص. 129-140 .
14. الحاوي (إليا)، فن الهجاء وتطوره عند العرب، دار الثقافة، د ط، بيروت، د ت.

15. حسين (طه)، في الأدب الجاهلي، مؤسسة هنداوي، ط3، 1937.
16. حسين (محمد محمد)، الهجاء والهجاءون في الجاهلية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط3.
17. حسين (محمد محمد)، الهجاء والهجاءون في صدر الإسلام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط3.
18. درويش (ليلي)، « A brief evolution of satiric » developpement، ancient arabic poetry، مجلة قضايا لغوية، مج 5، العدد 2، ص 107-117، 25 جوان 2024، "2026.
19. الدعيس (عزيز صالح)، لغة الشعر في ديوان الخماسة لأبي تمام (الأدب-النسب - الهجاء)، المكتب الجامعي الحديث، 28 جانفي 2009.
20. الدكتور أبو بكر، "الاستشهاد اللغوي ومصادره"، مجلة القسم العربي، جامعة باكستان، العدد 24، 2017.
21. الدهان (محمد سامي)، فنون الأدب العربي: الفن الغنائي "الهجاء"، دار المعارف، ط3، القاهرة.
22. الزهار (أحمد الشريف)، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1754-1830، تحقيق: توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
23. سراج الدين (محمد)، الهجاء في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت.

24. سعد الله (أبو القاسم)، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، 1982.

25. سعيدوني (ناصر الدين)، "الحصار البحري الفرنسي على السواحل الجزائرية 1827-1830"، مجلة الثقافة، العدد 28، 1395هـ / 1975م.

26. الشافعي (أبو عبد الله محمد بن إدريس)، ديوان الإمام الشافعي (الشعر والحكم)، دار صادر، بيروت، د.ت.

27. شامي (يحيى)، أروع ما قيل في الشعر العربي، المجلد 1، دار الفكر العربي، بيروت.

28. شرف (عبد الحق)، "رسالة أخوية من العربي المشرفي إلى السيد عبد القادر بن حليلة"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مجلد 4، عدد 5، ص ص. 94-101.

29. شرف (عبد الحق)، الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعفري الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن الكنسوس للعربي المشرفي المتوفي 1895م، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف عبد المجيد بن نعيمية، جامعة وهران، 2010-2011.

30. شرف (عبد الحق)، العربي المشرفي حياته وآثاره، رسالة ماجستير، تخصص: التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف عبد المجيد نعيمية، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، 2006-2007.

31. شريط (عبد الله)، الجزائر مرآة التاريخ، مكتبة البعث، ط1، قسنطينة، 1925.

32. شيخو (الأب لويس اليسوعي)، علم الأدب، الجزء الأول في علم الإنشاء والعروض، مطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت، 1886.

33. عباد (صالح)، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومة للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2007.

34. عبه (فهد بن عبد العزيز بن محمد)، "الطعام مرآة حضارية قراءة جديدة في هجاء بشار بن بر الشعوبي"، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد 1، جامعة الرياض، السعودية.

35. عجلان (عباس بيومي)، الهجاء الجاهلي أساليبه وصوره، مؤسسة الشباب الجامعية للنشر والتوزيع، د ط، الاسكندرية.

36. علوي (حافظ إسماعيل)، الحجاج مجالاته مفهومه، دار الكتب الحديثة، الأردن، 2010.

37. العلوي (مولاي الزهيد)، العلماء المشرفيون نموذجاً نموذجاً: مجلة تاريخية، المجلد 6، العدد 1، 2022.

38. علي القيسي (نوري حمودي)، "تقويم جديد لظاهرة الهجاء في الشعر العربي قبل الإسلام"، مجلة الآداب، العدد 30، جامعة بغداد، 1981.

39. عيسى (فوزي)، الهجاء في الأدب الأندلسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2007.

40. الغرياي (رحيم عبد العلي فرحان)، "الاحتجاج في أشعار أحمد مطر: قراءة في التشكيل والرؤيا"، كلية الكويت الجامعية، مركز البحوث والدراسات والنشر.
41. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة.
42. لشهب (أحمد)، "محطات من سيرة القاضي الفقيه الحاج الداودي التلمساني، 1271هـ، 1854م"، مجلة الشهاب، المجلد 7، العدد 03، 2021.
43. مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة، 2000.
44. محمد رضا (يوسف)، معجم اللغة العربية الكلاسيكية. بيروت : مكتبة لبنان ناشرون، 2006.
45. منوني (محمد)، المصادر العربية لتأريخ المغرب، ج2، الفترة المعاصرة، 1730-1930م، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
46. مهديوي (إبراهيم)، الشعر والاحتجاج، مجلة عطاء للدراسات والأبحاث، العدد 09.
47. مهلول (جمال الدين)، "بعض الابتكارات والاختراعات في القرن 18 من خلال مخطوط نزهة الأبصار لأبي حامد العربي المشرفي"، مجلة الموروث، مجلد 8، عدد 2، 2020، ص ص. 181-192 .
48. مهلول (جمال الدين)، وَ حمدادو (بن عمر)، "منهج أبو حامد العربي المشرفي في التأريخ للجزائر"، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 11، العدد 02، سبتمبر 2020.
49. موقع معجم المعاني: <https://www.almaany.com>

50. موقع: <https://www.juntadeandalucia.es>

51. هلايلي (حنيفي)، أوراق في التاريخ الجزائري في العهد العثماني، دار الهدى،

الجزائر، 2008.



الفهرس



الصفحة	العنوان
	الشكر
	الإهداء
أ-ج	مقدمة
	الفصل الأول: أدب الهجاء والاحتجاج: النشأة والتطور.
8	المبحث الأول: تعريف الهجاء
8	1. لغة
9	2. اصطلاحا
12	3. نشأته وظهوره
13	المبحث الثاني: أنواع الهجاء
13	1. الهجاء الفردي
15	2. الهجاء القبلي
16	3. الهجاء السياسي
17	4. الهجاء الثقافي
17	5. الخصائص الفنية للهجاء
18	المبحث الثالث: أساليب الهجاء ولغته.
18	1. أساليب الهجاء
20	2. لغة الهجاء
21	المبحث الرابع: تطور فن الهجاء في التراث العربي
21	1. في العصر الجاهلي
22	2. في العصر الإسلامي
23	3. في العصر الأموي
24	4. في العصر العباسي

25	5. في العصر الأندلسي
26	المبحث الخامس: من الهجاء إلى الاحتجاج
26	1. ماهية الاحتجاج
28	2. أساليب الاحتجاج
	الفصل الثاني: حياة العربي المشرفي.
31	المبحث الأول: نشأة المشرفي
31	1. مولده ونسبه
32	2. نشأته وتعليمه
34	3. الهجرة إلى المغرب والوظائف المتقلدة
36	4. مؤلفاته وإجازاته
40	المبحث الثاني: عصر العربي المشرفي
40	1. البيئة السياسية
45	2. البيئة الاجتماعية والاقتصادية
47	3. البيئة العلمية والثقافية
	الفصل الثالث: الهجاء في كتاب الحسام المشرفي للعربي المشرفي
50	المبحث الأول: أنواع الهجاء والاحتجاج الواردة في كتاب الحسام المشرفي
52	1. الهجاء الموجه للكنسوس بذاته
62	2. الهجاء الموجه لنسب الكنسوس وقيمه ومدينته
64	3. الهجاء الموجه لطريقة الكنسوس الصوفية
66	المبحث الثاني: أساليب الهجاء الواردة في الحسام المشرفي
66	1. من حيث أسلوب الهجاء
68	2. من حيث غرض الهجاء
70	الخاتمة
69	قائمة المصادر والمراجع
81	الفهرس
84	الملخص

تتناول هذه الدراسة موضوع أدب الهجاء والاحتجاج في الجزائر في العصر الحديث، وذلك عبر دراسة خصائصه ومميزاته من خلال نموذج مؤلف مهم في هذا الباب، وهو العربي المشرفي، خاصة كتابه الشهير الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعري الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن الكنسوس، واستهدف البحث من خلال مدخل وفصلين، تتبع مراحل تطور هذا الفن في الأدب العربي شعرا ونثرا، ثم الكيفية التي وظف بها من قبل العربي المشرفي للدفاع عن مواقفه وطريقته الصوفية والانتصار في سجلاته، والذي كان بالحق ممارسة متميزة لهذا الفن من خلاله.

الكلمات المفتاحية: الهجاء - الاحتجاج - العربي المشرفي - الحسام المشرفي.

Abstract :

This study addresses the topic of satirical Hidjaa and protest literature in modern-day Algeria by examining its characteristics and features through the work of a significant author in this field, Al-Arabi Al-Musharrafi, particularly his famous book *Al-Hassam Al-Musharrafi: To Cut Off the Tongue of Al-Sab Al-Jarfi, the Spouter of the Superstitions of Al-Ja'sus, the Ill-intentioned Al-Kansus*, Through an introduction and two chapters, the research aims to trace the stages of development of this art form in Arabic literature—both poetry and prose—and then examine how Al-Arabi Al-Musharrafi employed it to defend his positions and his Sufi ways and to prevail in his debates, which was indeed a distinguished practice of this art form through him.

Résumé :

Cette étude aborde le thème de la littérature de Hijaa , satirique et contestataire dans l'Algérie contemporaine en analysant ses caractéristiques et ses particularités à travers l'œuvre d'un auteur majeur dans ce domaine, Al-Arabi Al-Musharrafi, et plus particulièrement son célèbre ouvrage *Al-Hassam Al-Musharrafi : Couper la langue d'Al-Sab Al-Jarfi, le propagateur des superstitions d'Al-Ja'sus, le malintentionné Al-Kansus*, À travers une introduction et deux chapitres, cette recherche vise à retracer les étapes du développement de cette forme d'art dans la littérature arabe — tant en poésie qu'en prose —, puis à examiner comment Al-Arabi Al-Musharrafi s'en est servi pour défendre ses positions et sa voie soufie, ainsi que pour l'emporter dans ses débats, ce qui constituait en effet une pratique remarquable de cette forme d'art à travers lui.